جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

جدلية المقدس والمدنس في شعر مظفر النواب

إعداد
فاطمة موسى محمود قنام

إشراف
د. عدوان عدوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2021م

جدلية المقدّس والمدنس في شعر مظفر النواب

إعداد

فاطمة موسى محمود قنام

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/09/01م، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

عبدوان بن عبدوان

1. د. عدوان عدوان / مشرفاً رئيساً

حسام التميمي

2. د. حسام التميمي / ممتحناً خارجياً

نادر قاسم

3. د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى من ذهبَ روحه لريحان الجنة، إلى الشيخ المجاهد، بؤبؤ الحياة الباقي، إليك أبي (موسى)

إلى تغريد الدحاء في جوف الليل، إلى قرة الروح بضحكتها الصامدة، إليك أمي (تغريد)

إلى الجبال الشامخات التي لا وله تغزوها الرياح العواتي، إليكم عمود الظهر وصمامه، إليكم

أخوتي (صامد ومحمود ومحمد وميسون وصمود وجهاد وأنسام وهنادي)

إلى من استبسل في البلاء ولم يرمخ، إليك أبي الثاني (عبد المعطي)

إلى عمتي انتصار وختام

إلى زوجي الذي ارتضيته ديناً وعلماً، إليك (محمد)

إلى زميلاتي اللاتي قدمن لي العون في السراء والضراء، إليكن معلمات بيت المقدس

إلى الزميل الغيور على الشعر وأهله، إلى السوري النواهي، إليك (ماجد بلالو)

إلى صاحب التفصيل الشعري الحدق، إليك صاحبي الشاعر (مظفر)

الشكر والتقدير

للتناء والحمد لله على توفيقه لي، وتيسيره الحرف ليدي، فالحمد لله حمد الشاكرين الصابرين

وأوصل هذا الشكر الجزيل من بعد الله تعالى، إلى:

الدكتور (عدوان نمر عدوان)، فكان نعم اللبيب والمعطي الموجد الدقيق في التوجيه والإيضاح،
الداعم لإبداع طالبيه، جامعاً منه باحثاً يعتمد على ذاته وعقله.

والشكر لك من علمني حرفاً في هذه الجامعة التي آمنت بي كطالبة واحتضنتني؛ لأنهل من
معرفة.

والشكر موصول كذلك إلى لجنة المناقشة كل باسمه ومسماه، حريصة على الاستماع
لتوجيهاتهم والأخذ بها.

الإقرار

أنا الموقّعة أدناه، مقدّمة الرّسالة الّتي تحمل العنوان:

جدلية المقدّس والمدنس في شعر مظفر النواب

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرّسالة كاملة، أو أيّ جزء منها، لم يقدّم من قبل لنيل أيّ درجة علميّة، أو لقب علمي، أو بحث لدى أيّ مؤسّسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة: فاطمة موسى محمود قنّام

Signature:

التوقيع: فاطمة قنّام

Date:

التاريخ: ١٨/٩/٢٠٢١

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	الإهداء	ج
	الشكر والتقدير	د
	الإقرار	هـ
	فهرس المحتويات	و
	الملخص	ط
	المقدمة	1
	أهمية الدراسة	2
	مبررات اختيار عنوان الدراسة	2
	أهداف الدراسة	2
	منهج الدراسة	3
	أسئلة الدراسة	3
	الدراسات السابقة	3
	خطة الدراسة	5
	مدخل: المقدس والمدنس/المفهوم والنشأة	7
	الفصل الأول: التعددية الثقافية عند النواب وعلاقتها بالمقدس والمدنس (أسبابها ومنطقاتها)	9
	مدخل: مبادئ النواب ومصادر تعليمه	10
أولاً	صوفية النواب ونظرتة الكونية	11
1	التصوف الديني	11
2	التصوف الاجتماعي	35
3	خلاصة التصوف الديني والاجتماعي	39
ثانياً	المرأة في أشعار النواب بين المقدس والمدنس	41
1	صورة المرأة التقليدية (الأم البيولوجية)	42
2	صور المرأة الحديثة	43
3	المرأة والرمز	53
4	خلاصة المرأة في أشعار النواب بين المقدس والمدنس	54

الصفحة	الموضوع	الرقم
55	الجنس في أشعار النواب بين المقدّس والمدنّس	ثالثاً
71	خلاصة الجنس في أشعار النواب بين المقدّس والمدنّس	
72	خمريات النواب بين المقدّس والمدنّس	رابعاً
73	الخمير المادية	1
78	الخمير المعنوية (خمير الحب الإلهي)	2
85	الفصل الثاني: المقدّس والمدنّس بين التصور والتآلف والاختلاف	
96	مسوغات استخدام المقدّس والمدنّس	أولاً
92	المقدّس وصوره	ثانياً
92	المقدّس الشخصي	1
116	خلاصة المقدّس الشخصي	
119	المقدّس المكاني، الأرضس (الدولة / المدينة)	2
125	المقدّس الحسي/الأدائي	3
126	المقدّس اللفظي	4
128	المدنّس وصوره	ثالثاً
128	المدنّس الشخصي	1
132	ألقاب المدنّس الشخصي	
139	صفات المدنّس الشخصي	
146	خلاصة المدنّس الشخصي	
147	المدنّس المكاني	2
153	المدنّس الزماني	3
154	المدنّس الحسي/الأدائي	4
155	المدنّس اللفظي	5
158	تآلف الأضداد بين المقدّس والمدنّس	رابعاً
158	تآلف الأضداد بين المقدّس والمدنّس في الطبيعة	1
160	تآلف الأضداد بين المقدّس والمدنّس في الإنسان	2
162	تآلف الأضداد بين المقدّس والمدنّس في المكان	3
163	قضية الوسخ والاعتسال مثلاً	4
166	الفصل الثالث: أبعاد المقدّس والمدنّس في أشعار النواب	

الصفحة	الموضوع	الرقم
167	الأبعاد الدينيّة	أولاً
170	الأبعاد الاجتماعية	ثانياً
176	الأبعاد السياسية	ثالثاً
176	الأبعاد النفسية	رابعاً
182	الأبعاد الجمالية	خامساً
184	الخاتمة	
186	قائمة المصادر والمراجع	
b	Abstract	

جدلية المقدّس والمدنّس في شعر مظفر النواب

إعداد

فاطمة موسى محمود قنّام

إشراف

د. عدوان عدوان

الملخص

تمحورت هذه الرسالة حول تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس في أشعار النواب، فقد أتت الباحثة في الفصل الأول على الأسباب والمنطلقات التي أدت إلى التنوع الثقافي والأدبي في أشعار النواب، فتناولت الباحثة صوفية النواب الدينية والاجتماعية وكذلك نظرتة للكون، وكيف كانت المرأة ركناً اجتماعياً في بناء أشعاره، واتخاذها من الجنس والخمر بنوعيهما (المادية والمعنوية) مفصلاً لإبراز فكره الوطني الثوري، ومنه ظهور المقدّس والمدنّس في أشعاره.

وفي الفصل الثاني وضّحت الباحثة مسوغات استخدام النواب تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس، ثم أردفتها بصور المقدّس على اختلاف نوعه (الشخصي، المكاني، الحسي الأدائي، اللفظي)، ثم أتبعته بصور المدنّس (الشخصي، المكاني، الزماني، الحس الأدائي، واللفظي) مبيّنةً أهم السمات المشتركة لكل نوع منها، ثم بينت مواطن تآلف المقدّس والمدنّس في الطبيعة الكونية والمكان والإنسان في أشعار النواب.

أما الفصل الثالث فقد وقفت الباحثة على الأبعاد الأدبية المتنوعة الناتجة عن استخدام النواب تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس، محللةً الأبعاد الدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والنفسية والجمالية في أشعار النواب.

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي، لعلها تأتي بدراسة جيدة لهذه الظاهرة في أشعار النواب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على صفوة الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد،

يُعدُّ الفن عامةً والأدب خاصةً انعكاساً للحياة الاجتماعية والنفسية والذهنية والتناقضات الجوهرية التي تحرك الإنسان إما قدماً للأمام أو ترجعه للخلف.

والشاعر الأديب كونه أحد أفراد المجتمع، يعيشه بين عالمين: (المقدّس والمدنّس)، أخذ الشاعر بملكته الإبداعية يحاكي هذا الواقع في أشعاره باستخدام تقنيات شعرية متنوعة، تزيد من الحيوية الشعرية وتعمّق الخطاب الشعريّ عند العربيّ المتقف.

ومن منطلق إيمان الشاعر المبدع أنّه مرآة الواقع الحيّ، واعتقاده المطلق بسنة الاختلاف والخروج عن المألوف، فإنّه يلجأ إلى استخدام تقنيات شعرية متعددة، نحو: تكرار الألفاظ، أو كتابة الملاحظات، أو استخدام السجع والجناس والطباق والتضاد وغيرها.

وواكبت هذه التقنيات الأسلوبية ظواهر مستحدثة في الشعر العربي نحو: كسر التابو اللغوي والموضوعي، وذلك راجع إلى الواقع العربي الموار بالأحداث المضطربة.

وعلى مستوى الساحات العربية وعلى وجه الخصوص الساحة العراقية التي تعاني الصراعات السياسية بين الشعب والحكومات، وكذلك الصراعات الدينية الطائفية منذ زمن، نجدُ مظفر النواب شاعراً عربياً يعبرُ عن الفلاحين العراقيين خاصة والعرب عامة، وقضاياهم، مناشداً الحكومات العربية قاطبةً بأن تسمع صوتهم، وتقدم لهم دون نهبٍ أو قمعٍ حياتي وفكري، حتى حظي بلقب شاعر الوجد العراقي العظيم.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الموضوع من أنّ ظاهرة المقدّس والمدنّس تكشف عن طبقات اللاوعي عند الشاعر ومجتمعه العربي والإنسان عامة لإنتاج وعي جديد يغير مسارات الحياة.

وعلى الرغم من تحدث القليل -داخل العراق وخارجه- عن المنجز الإبداعي الشعري للشاعر مظفر النواب، لكنني أجد ذاتي هنا معرّفةً عنه من ذات شعره، وليس من كتب التراجم والسير التي لم تأت على ذكر النواب، وذلك من باب الاحتفاء به، فكانت العراق والوطن العربي أكبر هاجس في نفسيته الإبداعية، وبالتحديد سأقف على جدلية المقدّس والمدنّس التي ضمتها أشعار النواب، إذ قدّس المدنّس، وذنّس المقدّس.

مبررات اختيار عنوان الدراسة

1. الكم والنوع اللذان يتصف بهما إنجاز النواب الثقافي الإبداعي، مما يؤهله لأن يكون نموذجاً ريادياً لاستحداث جدلية المقدّس والمدنّس في الشعر العربي الحديث.
2. استمرار المتواصل في رفض الواقع علناً-أي رفض السلطة السياسية العليا التي تعتبر المقدّس من منظور عليّة الأمة، والمدنّس النجس في نظر النواب، فيظهر في أشعاره متمرداً على الواقع بكل ما فيه من تناقضات، مما جعله يدفع عن نفسه تهماً وجهت إليه، وتعرض بسببها للملاحقة والمساءلة.
3. عدم لجوء النواب إلى الترميز أو التلميح في تحريضه ضد السلطات العربية، مما جعل جدلية المقدّس والمدنّس تتواجد بكثرة ذات ملامح فنية لافتة في أشعاره.

أهداف الدراسة

يهدف البحث إلى

- تتبع تقديس المدنّس وتدنيّس المقدّس كجدلية شعرية جديدة مستحدثة في أشعار النواب.
- تبيان مدى أهمية تقديس المدنّس وتدنيّس المقدّس في أشعار النواب.

- توضيح مدى تأثير جدلية " المقدّس والمدنّس " على المتلقي العربي، وبيان قدرتها على إيصال رؤية الشاعر، لما تحمله من أبعاد دينية وسياسية واجتماعية ونفسية وجمالية.

منهج الدراسة

قد دفعتني طبيعة الموضوع إلى اتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ لرصد مضامين القصائد النوابية، ثم أتبعتها بتحليل نماذج من أشعار النواب تحمل تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس ليكون البحث أكثر دقة.

أسئلة الدراسة

يطرح البحث أسئلة جوهرية تحمل في ثناياها أسئلة أدبية أثارها الباحثة في متن البحث، والأسئلة الجوهرية هي كالاتي:

1. ما هي الأسباب التي دفعت الشاعر إلى استخدام جدلية المقدّس والمدنّس في أشعاره؟
2. كيف وظف الشاعرُ جدلية المقدّس والمدنّس في أشعاره؟ وما مدى حضورها؟
3. هل حقّق استخدامهما لها، الأهداف الاجتماعية والسياسية المنشودة؟
4. ما هي القيم الفنيّة والجمالية والأخلاقية لاستخدام جدلية المقدّس والمدنّس في أشعاره؟ وهل نجحت جدلية المقدّس والمدنّس في توضيح رؤية الشاعر؟

الدراسات السابقة

لم تعثر الباحثة على دراسات تناولت جدلية "المقدّس والمدنّس" في أشعار النواب وتحليلها نقدياً، ولكن هناك مجموعة من الدراسات تناولت جوانب أخرى في أشعار مظفر النواب، قرأتها الباحثة واستفادت منها في فهم النص الشعري وتوسيع مداركها دون الاقتباس الحرفي المباشر منها.

1. "اللغة في شعر مظفر النواب"، رسالة ماجستير لـ"نهاية رضوان" محللةً فيها الألفاظ الفصيحة وكذلك العامية ودلالاتها في شعر النواب، شارحةً الظواهر اللغوية الأسلوبية من الترادف والجناس والتضاد وغيرها عنده.
2. "تداخل الأجناس الأدبية في شعر مظفر النواب"، رسالة ماجستير لـ"مصباح محمد"، إذ استفادت منها الباحثة بقراءة الفصل الثالث على وجوه الخصوص، وهو بعنوان: "الأبعاد الدلالية لتداخل الأجناس الأدبية في شعر مظفر النواب".
3. " مظفر النواب: التلقي النقدي واختلاف الطبقات" رسالة ماجستير لـ "مؤيد عودة"، إذ تناولت الرسالة الحديثَ عن كيفية تلقي النقاد لأشعار مظفر النواب ومدى تأثير اختلاف الطبقة على المتلقي وفهمه، معتمداً على أكثر من منهج في كتابته أهمها: الاجتماعي والتكويني.
4. كتاب باقر ياسين "مظفر النواب حياته وشعره"، إذ تناول حياة النواب و أشعاره في خمسة فصول: هي على الترتيب(حياة مظفر النواب، الشعر الشعبي، مدن وبلدان الوطن العربي في شعر مظفر النواب، أبطال مظفر النواب، مميزات شعر مظفر النواب، قصائد ونصوص مختارة).
5. كتاب عادل الأسطة" مظفر النواب الصوت والصدى" إذ تناول في القسم الثاني الثنائيات والرموز التراثية ونصوص العصر، وتطرق في القسم الثالث إلى الشرف الشخصي والشرف القومي، من خلال تحليله قصيدة "في الحانة القديمة" مناقشاً البعد الأخلاقي وقضية الشرف في نظر مجتمع الأسياد ونظر الطبقة الممسوخة الممثلة في المرأة البغية.
6. "دراسة دور الأمكنة في الديكور الشعري لمظفر النواب"، لـ "محمد روشن"، إذ تناول فيها أنواع الأمكنة التي وظفها النواب في أشعاره وكذلك تحليل دورها ودلالاتها.
7. كتاب نقدي لمحمد الأسدي "بناء السفينة، دراسة في شعر مظفر النواب"، فقسم الكتاب إلى أربعة فصول (الأبنية الإيقاعية، اللغة الشعرية، سيمياء اللون، الجماليات الشعرية).

8. كتاب رائد صبح "تقديس المدنس في الشعر العربي المعاصر إذ أوضح فيه أن جذور هذه الجدلية وجدت في العصر الجاهلي عند الشعراء في خرقهم العادات الاجتماعية والعرفية في القبيلة، ثم تحدث عن الأسباب التي أظهرت هذه الجدلية في الشعر المعاصر الحديث، وأهمها: هاجس الاختلاف، البحث عن الدهشة وتحقيق الصدمة للقارئ، والتأثر بالغرب، ثم بين أبعاد هذه الجدلية من الناحية الجمالية والموضوعية، موضحاً الفرق بين المفارقة والتضاد والتهمك والسخرية.

خطة الدراسة

فالبحت يبدأ بمدخل يوضح نشأة المقدّس والمدنّس والصراع بينهما في السيطرة على سلوك الإنسان.

وقد أتبعَت الباحثة هذا المدخل بثلاثة فصول:

الفصل الأول بعنوان "التعددية الثقافية عند النواب وعلاقتها بالمقدّس والمدنّس (أسبابها و منطلقاتها)"، وفيه سلطت الضوء على أشياء تظافرت معاً لبناء جدلية المقدّس والمدنّس في قصائد النواب، كالتصوف والمرأة والجنس والخمر، فكانت جميعها سبباً لانطلاق هذه الجدلية في أشعاره.

وكان التمهيد لهذا الفصل من خلال بطاقة تعريفية عن النواب ومبادئه الحياتية ومصادر تعلمه التي اتخذ منها أساساً لتأسيس نظريته الثورية المظفرية، حتى غدت الثورة غاية ينشدها علناً— فكانت أشعاره متميزة بشكل جذري عن الكل الآخر.

أما الفصل الثاني فخصص للحديث عن "المقدّس والمدنّس بين التصور والتألف والاختلاف" في أشعار النواب، فكان لا بدّ هنا من الإشارة إلى صراع النواب مع السلطة الحاكمة وإلى دعوته للوعي بقضايا إنسانية تخصّ الشعوب عامةً، مبيّنةً موقف النواب منها، إضافة إلى مشاعره— أحاسيسه—تجاه الفقراء والثوار والوطن الأم، من خلال ذلك شرح تجليات المقدّس (الشخصي،

المكاني، الحسي الأدائي واللفظي)، وكذلك تجليات المدنّس (الشخصي، المكاني، الزماني، الحسي الأدائي واللفظي)، واللوحات الشعرية الناتجة من التآلف بينهما.

أما **الفصل الثالث** والأخير فكان تفصيلاً لسؤال: ما هي الأبعاد الدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والنفسية والجمالية التي حملتها هذه الجدلية الشعرية، فكان بعنوان "أبعاد المقدّس والمدنّس في أشعار النواب".

وأنهت عملي بخاتمة استخلصت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وتشير الباحثة هنا أن أهم هذه المصادر التي لها دور كبير في إتمام هذه الرسالة، هو "الأعمال الكاملة" للشاعر مظفر النواب، إذ اعتمدت على الاقتباس منه أثناء تحليل أشعار النواب ومضامينه، ويعود ذلك إلى أسباب عدة:

1. عدم وجود طبعات غيرها في مكتبات الخليل وبيت لحم، تكتنرها الباحثة لنفسها لتستطيع التحليل للبحث.

2. احتواء هذه الطبعة على عناوين أثارت عقلي بطرح أسئلة أساسية في البحث، وهذه العناوين على التوالي، هي (مظفر ليلة سقوط بغداد، الانتماء والبعد الطبقي، تعرية الحكام والأنظمة والمواقف السياسية المشبوهة، مظفر السياسي، مظفر الشاعر، مظفر وانتخابات العراق وأبو ظبي، أولاد القحبة، حوارات معه وشهادات عنه).

3. أنّ النواب "لم يبارك أي طبعة بعينها ويشيد بها، وكذلك أي مسمى يحمل أشعاره، وقوله أنّ كل هذه الطبعات بمختلف مسمياتها الهدف منها تجاري"¹ بحث، فاعتمادي عليها لا يفسد للود قضية، فالمهم تحليل المضمون حسب رؤيا الباحث حتى وإن اختلفت الطبعات والنسخ منها.

¹ بلالو، ماجد: أحد الأشخاص السوريين المقربين من النواب، يخدمه. ويعمل في التفريغ الصوتي لقصائد النواب المسجلة على الأشرطة القديمة. محادثة فسبوكية. الساعة 9:24 ليلاً. يوم الأربعاء. بتاريخ 17-3-2020م.

مدخل: المقدّس والمدنّس / المفهوم والنشأة

تقدّيس المدنّس وتدنّيس المقدّس أصبحت ظاهرة شعرية في الشعر العربي الحديث، يلجأ إليها الشاعر ليعبر عما يدور في خجلانه من تناقضات وصراعات حياتية، مناقشاً من خلالها قضايا فكرية واجتماعية وسياسية.

المقدّس والمدنّس جدلية بين قوتين موجودة منذ القدم مع الإنسان البدائي في منظومته الثقافية الأخلاقية، إذ أخذ من المقدّس معادلاً للقوة العظمى في العالم العلوي محافظاً عليه من مخاطر المدنّس الدنيوي واللّعي، من خلال طقوس دينية جمعية تجعل الإنسان ملتزماً بالنواهي والمحرمات، حتى لا يخرج المقدّس إلى العالم الأرضي.

وبالنسبة للشاعر الأديب أصبح الكون في "كليته تجلياً قدسياً"¹، منقسماً بين عالمين: عالم المسموح والمحلل (الدنيوي) وعالم الممنوع والمحرم اختراقه (المقدّس).

والمقدّس دالٌّ لغوي، مأخوذ من الفعل قدّس بضم القاف أو فتحها بمعنى طهّر، و "قدّس طهّر والتقدّيس هو التطهير والتنزيه والتبريك، وروح القدس جبرائيل، والأرض المقدّسة المطهرة"².

إذ يحمل لفظ المقدّس مدلولات متعددة، فمدلوله الاجتماعي: أنه أساس الوجود الاجتماعي بصفته "مولداً للمعتقدات والتصورات والأساطير المشتركة"³، أما دلالاته من الناحية الدينية فهو جوهر الحياة الدينية، ويحمل أيضاً بعداً دلاليّاً نفسياً كونه "هبة أو عطية سرية تحمل الخفاء والعنو تنثير الرهبة والشغف أمام معارضه الدنيوي"⁴.

وتعود جذور تكوينه الأصولية إلى الدين، إذ عرّف الأخير "أنه المشروع الإنساني الذي يبني به المقدّس أو هو بناء الكون في إطار المقدّس"⁵، ويتكون المقدّس من قطبين: هما الطاهر الواجب

¹ إلباد، مريسا: "المقدّس والمدنّس". ترجمة عبد الهادي عباس. ط1. دمشق: دار دمشق. 1988. ص17.

² ابن منظور: "لسان العرب". لبنان: بيروت. دار صادر. ص168.

³ كايو، روجيه: "الإنسان والمقدّس". ترجمة سميرة ريشا. لبنان: ط1. بيروت. المنظمة العالمية للترجمة. 2010، ص9.

⁴ نفسه. ص10.

⁵ عبد الرحمن، عبد الهادي: "عرش المقدّس". ط1. بيروت: دار الطليعة. 2000. ص23.

اجتنابه لعله عارضة، والنجس الواجب اجتنابه لعله في ذاته، أمام قطبي العالم الدنيوي: الخير والشر.

فالمقدّس بقوته المسيطرة "ليس أبداً علوياً، وإنما هو مخلوق منتج من واقع صراعتنا وحاجتنا الاجتماعية"¹، فلا نستطيع التعايش مع المقدّس إلا رمزاً، وبذلك أخذ كل مقدس رمزاً متحولاً في ذاته إلى قوى فعالة مصاحبة للعلاقات الإنسانية في حركاتها وسكناتها، فنجد الحيوان أو البشر مقدساً، وكذلك الزمان والمكان قد يُمنحان القوة المقدّسة مجسدة للثقافة الإنسانية.

إنّ جديد أشعار النواب ليس في موضوعاتها السياسية والتاريخية، فحسب، بل كان جديدتها متمثلاً في تقنياتها الفنية، وهي المزوجة بين المقدّس والمدنّس، واستحضار أحدهما من خلال الآخر.

فمن المعروف أنّ مفهومي المقدّس والمدنّس احتلاً أهمية خاصة في الشعر العربي الحديث. وقد بلغت هذه الأهمية حداً يوهم المتلقي بأنّ الشاعر "نبيّ"، شخص أعطته طاقاته العظيمة في النطق والرؤيا تبصراً خاصاً إلى ما هو جيد وأخلاقي وفاضل"²، وبذلك سنجد كيف تفوق النواب على غيره باستخدام المفهومين ليخدم نصه الشعري؟

ولعلّ هذه الجدلية الشعرية المستحدثة من حيث الدراسة لم يعرف لها رائد ولا منظر في عالمنا العربي بشكل منهجي ودقيق، بيد أنّ النواب بيّنها في أشعاره تصريحاً وليس تلميحاً، كونه الشاعر السياسي الهجائي في وجه السلطات الحاكمة، فهي مطروحة في أشعاره الصوفية والسياسية وما يراه في الخمر، وفي استحضاره المرأة في أشعاره وكذلك الجنس.

¹ عبد الرحمن، عبد الهادي: "عرش المقدّس". ص 17.

² سعيد، إدوارد: "خيانة المثقفين النصوص الأخيرة". ترجمة أسعد الحسين. دمشق: دار نينوى. 2011. ص 130.

الفصل الأول

التعددية الثقافية عند النواب وعلاقتها
بالمقدس والمدنّس (أسبابها ومنطلقاتها)

الفصل الأول

التعددية الثقافية عند النواب وعلاقتها بالمقدس والمدنس (أسبابها ومنطقاتها)

مدخل: مبادئ النواب ومصادر تعليمه

عاش مظفر النواب مسيرة سياسية وعقدية، تحمل في طياتها صراعاً يتأجج بين الحين والآخر بين طبقتي (الحكام والشعوب)، مما جعل حياته الشخصية ومكانته الشعرية على المحك، واقفة على مفترق طرق، بين الموت، والنفي، والإعدام، والمطاردة، والتشرد، والنجاة. بيد أن النواب ظلّ متسلحاً بأشعاره بوجه الحكومات والقرارات العربية الجائرة، متخذاً من قلمه الشعري وصوته الهجائي حداً لكلّ ظالم.

فأشعار النواب عامة تقوم على معادلات أخلاقية اجتماعية، ترسخ رؤيته الحياتية ومبادئه الإنسانية التي يؤمن بها، ومن منطلق أنّ "كل النصوص المكتوبة هي تفسيرات بحد ذاتها"¹، نفهم كيف عرف النواب القراء بذاته من خلال أشعاره؟

فهو -أي النواب- اتخذ من نفسه مسؤولاً عن الفقراء والثوار، عندما أعلن انتماءه لجماعة الفقراء، وأنهم أمانة لديه، بقوله: "الشعب أمانة في عنق الثوري"²، ثم رفع شعاراً خاصاً بهم، يحمل الأصالة والتاريخ والثورة، حينما قال: "وحدت النخلة والله وفلاحاً"³، ومن هنا أخذ يتطور الصراع الاجتماعي بين الأعلى والأدنى، ومنه سطرّ النواب عشق المرء لبلاده فطرياً، إذ لا يصل إلى تحرره إلا بالسلاح الأبيض، بقوله: "إنما البندقية أم الطباع"⁴، فكانت أشعاره عاكسة لـ "التاريخ والمبدأ والانتماء"⁵ الذي يؤمن به.

¹ سعيد، إدوارد: خيانة المثقفين النصوص الأخيرة. ص130.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع. 2007. ص185.

³ نفسه. 181.

⁴ قصيدة "وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين": <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>.

⁵ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". 88.

ويشير الشاعر النواب إلى مصادر تعليمه وتكوين ثقافته، إذ لم يتوارثها عن أبائه فقط، وإنما علمه وطنه العراق والدهر بزمانه والبحر بسفنه حيث تلاطم الأمواج أو هدوؤها، وكذلك أخذ علمه من الموت ودفن الأموات.

ويشير أيضاً إلى اختلاف قراءاته للكتب وتوعها، فقرأ كتاب الليل وكتاب الأحزان وكتاب العشق، وبين أنه قارئ لكتاب القرآن وحافظ له في مواطن عديدة في أشعاره. وبذلك يكن النواب معرفاً قارئاً أشعاره بمبادئه وأصول ثقافته.

أولاً: صوفية النواب ونظرته الكونية

1. التصوف الديني

أفسح النواب لأشعاره الدخول في باب التصوف الأدبي، وممارسة الجانب الروحي الممثل بالتصوف الديني، فانفرد بعيداً عما أنجزه الشعراء والأدباء والصوفيون، إذ تنوعت وتعددت أشعاره الصوفية غرضاً وصوراً، حتى جاءت زخرة بالمعاني الدينية والروحية جاذبةً المتلقي للتأمل في أشعاره.

فالتصوف له تعريفات متعددة منها المتفق أو المعترض عليها، لكنّ أوجزها تعريفاً، أنّ التصوف هو: "ترك كل حظ النفس"¹، إذ يبدأ السالك بروحانياته؛ ليدخل إلى مقام وليترفع إلى الأعلى منه، حتى يصل المتصوف إلى درجة العشق الإلهي.

ويظهرُ الشاعر في رحلاته الصوفية في صور عدة، منها:

شخص بدوي يركب ناقته مرتحلاً الصحراء العربية، فيقول:

"في تلك الساعة

حين تكون الأشياء بكاءً مطلقاً

¹ السلمي، أبي عبد الرحمن: "الطبقات الصوفية". تحقيق أحمد الشرباصي. ط2. مؤسسة دار الشعب. 1998. ص52.

كنت على الناقة أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الضالع بالهجرات

تزود قبل الربع الخالي

بقطره ماء¹

فالشاعر يرى الليل بساعاته وشهواته ونجومه زماناً ومكاناً لهجرته إلى الله واللقاء معه، هذا البدوي/الشاعر يكثر في هجرته إلى الله، مسرفاً في اللجوء إليه، متأملاً فيها بروية وتفكير، زاده القليل من الماء، فالمهم اللقاء بالمحبوب، وليس كثرة الطعام والشراب.

ويقول أيضاً في موطن آخر:

"في تلك الساعة

حيث تكون الأشياء هي الشبق المطلق

كنت على الناقة

مذهولاً بنجوم الليل الأبدية"²

فصوفية الشاعر مرتبطة بسعيه السياسي، فمناله السياسي صعب التحقق في مجتمعه المتصارع؛ لذلك قال: "يا هذا البدوي المسرف بالهجرات /لقد ثقل الداء"³. فهو يهاتف الله تكراراً في أشعاره منادياً عليه، قائلاً له:

"يا طير البرق لقد

أوشك ماء العمر يجفُّ قريباً

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص106.

² نفسه. ص161.

³ نفسه. ص 174.

وفتحت معابد روعي المهجورة

إذ كنت سمعتك تخفق في الليل غريباً

أيقظت الأقواس وكل حروف الزهد

تناديك حبيباً

ووضعت أمام سني عينيك

توسّل كفي

وما أبقتة الأيام لدي

وأنت بأفاق الروح شروفاً ومغيباً

أخذتك للخلوة ناديتك:

يا ثقّتي¹

ففي هذه الأبيات يشكو الشاعر المتصوف ليلاً حاله وما آلت إليه روحه، فدمعه أخذ يجفُّ؛ لكثرة بكائه على مفقوده (الوطن)، يناجي الله كونه حبيبه، واضعاً كل سني عمره بين يديه، فالله هو المطلع عليه أينما حلَّ وذهب، إذ يوجه لحبيبه-أي الله-نداءً واصفاً مكانته عنده "يا ثقّتي"، ويفيد النداء هنا التماس حبه منه، محددًا بذلك طبيعة العلاقة التي تربطه مع الله.

كما لجأ إليه من خصومه (جلاديه) كونه مدركاً أنّ محبوبه-الله-ملاذه الآمن، إذ يطلب الإنقاذ من صاحب القدرة الكاملة، فيناداه قائلاً:

"إله البحر سيكتشفونني"

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 130-131.

أنقذ مطلقك الكامن في الإنسان¹

مبيناً كمال محبوبه (الله)، فيصفه بالمطلق بمخاطبته إياه: "توجهت إلى المطلق في ثقة"²؛ ليدلّ بديهياً على النقص الذي يعتريه، فهو -أي النواب- مقبلٌ عليه مُدركٌ لوجهته ينشدُ الطمأنينة منه كونه مطلقاً.

ومن صور صوفية الشاعر أيضاً، ظهوره بصورة عبد يناجي الله، فيقول:

"هذا طينك / تتقاذفه الطرقات بليل المنفى والأمطار"³، فيُظهرُ حقيقته الوجودية الأولى، أنه مخلوق من طين؛ ليجد العطف من الله محبوبه، كونه يعيش قسوة المنفى وعذاباته.

وفي موطن آخر، يقول:

"لي في الكون حبيب

يفتح أزهار المشمش في الليل"⁴

ومن الأبيات السابقة يؤكد النواب أن الله حبيبه، فالشاعر في حالة حبٍّ لمحبوب متميز عن غيره، وكذلك يجده دليلاً في هجرته الكونية فيقول:

"لا بدّ لهذا الليل دليل يعرف درب الآبار"⁵.

فالصورة الشعرية هنا " قد تنقل إلينا انفعال الشاعر (تجربته الشعرية) ولكنها تنقل كذلك إلينا الفكرة التي انفع بها الشاعر، وليست الصورة التي يكونها خيال الشاعر إلا وسيلة من وسائله في استخدام اللغة في نحو يضمن انتقال مشاعره (انفعالاته وأفكاره) إلينا"⁶.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 185.

² نفسه. ص 184.

³ نفسه. ص 141.

⁴ نفسه. ص 214.

⁵ نفسه. ص 174.

⁶ إسماعيل، عز الدين: "الأدب وفنونه: دراسة ونقد". ط 8. القاهرة: دار الفكر العربي. 2013م. ص 79.

أيضاً نجدُه يأنس بقربه من الله، مما زاد تعلقه به، فيقول له طالباً:

"مولاي/كن أنت حضوري الدائم في"¹، فالجمال في هذا الخطاب المتولد من تحالف أسلوبية الأمر والنداء، موضحاً بذلك حالة التلاحم والتلازم بينهما.

ويضيف الشاعر أنه لا انقطاع بينهما، بقوله:

"يرافقتي نصف الدرب/وبعد النصف/ يقول: يرافقتي"²، فهنا الشاعر دائم اللقاء والوصل مع الله، غير منقطع عنه في سرائه وضرائه، فيخفف عنه حرارة الروح والجسد في الصيف ويلهمه الصبر.

ويخشى الشاعر كذلك غضب الله عليه ويخاف جفاهه، فيقول:

"أعينك أن تغضب مني"³؛ لأنك "أنت المطوي عليك جناحي بالأسحار"⁴، لذلك يقرُّ بالحقيقة الجوهرية الدينية وهي الاعتماد على الله دون سواه، فلا يشغل نفسه بالتدبير لأنَّ الله متوكِّل به.

ونلاحظ قول الشاعر في هذه الأبيات، وما يحمله من محبة وشوق لله، فيقول:

"أنصفي

لا ألقاك

ولا يغازلنا الصمت

ويحكي المشمش والتوت البري

وتختلف الطرف

ضيعه

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 357.

² نفسه. ص 175.

³ نفسه. ص 142.

⁴ نفسه. ص 142.

فأشتاق إلى لا شيء

أنا أشتاق إلى لا أشياءك أيضاً

تذهلني أنت ولا أنت

وأجهل أو أكشف¹

إذ يعبرُ عن وجده وشغفه لمحبوبه-الله- فهجر الدنيا وخلقها، فالمحبُّ يضحى ويتخلى عن أشياء كثيرة ليظفر بمحبوبه، مندھشاً في حضرته، فلا شيء يضاهي حسنه وجماله.

فهذا العشق لا يتحقق بالحب الزائف والمصالح والمنافع، إنّما بالبعد عن ملذات العشق الدنيوي ودوافعه.

أما روحانيات الشاعر الصوفية التي تعمقت من خلال مشاهداته الكونية، والتجربة الدينية الصوفية التي جعلته يرى "الطبيعة برمتها قابلة للتكشف بصفتها قداسة كونية"² إذا قامت الباحثة بتحليل كيفية رؤية النواب للكون وفضائه ومدى علاقته به؟

فيواصل الشاعر رحلاته الذوقية إلى الكون مصدر تجليات الخالق، إذ يتأمله في طبيعته السماوية بعناصرها: (الشمس والقمر والكواكب والنجوم)، ومظاهرها (النهار والليل والبرق)، وكذلك في الطبيعة الأرضية من (الإنس والنبات والحيوان والطيور)، وأيضاً في الطبيعة الصامتة (البحار والأنهار والمحيطات) وغيرها، فجعلها النواب موطن تأمل وتنظير، في تجسيدها إبداع الخالق، وبالتالي قدسيته وعظمته.

متخذاً الشاعر من الكشف وسيلةً لإدراك هذه المشاهدات، ثمّ الوصول إلى محبوبه الله، فالشاعر مجبولٌ بالطبيعة وتأمله بها منذ صغره، خصوصاً "تجمع الأفلاك والسفن والزوارق والناس والطيور أمام بيته في (شريعة النواب) على نهر دجلة"³.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 355.

² مرسيا، إلياذ: المقدس والمدنس". ص 17.

³ أنظر، ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". إيران: قم. دار الغدير. ط2. 2000. ص 17-18.

فيقول النواب في الكون:

"الكون زاء ملونة"

فوقها شدة..فوقها شدة

ثمّ مدّة¹

فالكون عند النواب يمثلُ حرف الزاي الذي مُدَّ لفظاً وكتابةً فجاء بهمزة بعد ألف، متسائلة
الباحثة: لِمَ حرف الزاي دون غيره من الحروف؟

فيقول ابن عربي أبو الصوفية في القرن الرابع الهجري، عندما حدد معنى حرف الزاي أنه " من
الشدة والأزمة".²

ويقول أيضاً: ما وقعت الزاي بكلمة إلا لحقتها شدة بادية، وعددها سبعة، حيث كانت العرب
تقول: أخذني السبع، لما يرى من الشدائد.

فالشاعر لم يأت بالزاء مصادفة، وإنما لإدراكه ما يمثله مضمون هذا الحرف مع الكون الذي
يعيشه. أضف إلى ذلك، أنّ الشدّ فيه ضيق، والمدّ فيه اتساع، والكون بينهما بلا حدود -أي بين
مدّ وجرز.

وهو القائل أيضاً: "وضج الكون دماً وعصافير خرساء/ مفقأة الأعين"³، إذ يرى النواب الكون
محيطاً للثورات والنكسات التي يعيشها العربي عامة والثائر خاصة.

تلاحظ الباحثة أيضاً في أشعار النواب طرحه أسئلةً عن مسؤول هذا الكون، التي قد تبدو للوهلة
أسئلة بسيطة، ولكن بعد تأمل أشعاره يتضح أنها عميقة، قديمة قدم الإنسان نفسه، فيقول: "من
هذا المتسربل في الليل/ تتأجج فيه النشوة بكل زهور النخل؟"⁴.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص192.

² ابن عربي: "المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات". ط1.بيروت: دار الكتب العلمية. 2006. ص127.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص244-245.

⁴ نفسه. ص139.

ويقول أيضاً في موطن آخر:

"من هذا الماسك زمام الأنهار/ يواجه ذئبية هذا العالم/ لا يحمل سكيناً"¹.

فالتأمل لأبيات النواب يدرك الأحوال التي يمرُّ بها أي متصوف، فيقول:

"هل تصلُّ اللبُّ"

هناك النار طريُّ

ويزيدك عمق الكشف غموضاً

فالكشف طريقٍ عدمي

وتشفُّ بوحيكُ

ساعات الليل الشتوي

غموضاً

هناك تلاقي النيران

وتغصب الكلمات

وتصبح روعي قبل العشق بثانية

فوضى²

ففي هذه اللوحة الممزوجة بعدة أحوال يعيشها الشاعر بين المحبة والخوف أثناء حوارهِ مع الله،

يظهر حال المحبة من خلال سؤاله الروحي مخاطباً الله، "هل تصلُّ اللبُّ؟"، وترى فيه كيف

تشتعل النيرانُ لرؤياك؟

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 139.

² نفسه. ص 119.

فالكشف المستمر لا يزيد الأمر إلا تعقيداً، لكنَّ المحبوب رَأْفَ لحال المحب، فتمَّ معه اللقاء، حتى ذهبَت الكلمات في حضرته خوفاً من الهيبة والعظمة الإلهيين، بذلك وصل النواب إلى أسمى درجات العشق الإلهي-الابتهاج الروحي.

هذه المشاهدات الكونية الروحانية تُظهرُ ما تعلمه النواب من البحر، وذلك في قصيدة "جزر الملح" عندما قال:

"علمني البحر

أن أنام في ازرقاقه السري

منصتاً لعالم الأعماق

والتنفس الماسي

للؤلؤ

والتواصل الغرائزي"¹

فالمنام والإنصات والتواصل الغريزي من أكثر حاجات الصوفي؛ لينتقل من خلالها بين المقامات الصوفية (التوبة، الفقر، الزهد، الصبر وغيرها)؛ ليصل إلى الله، وكذلك الشاعر تأمل البحر وتعلم منه ليصل لخالقه.

ويقول أيضاً في "قصيدة من بيروت":

"وأعطاني الكون

أول أسرارهِ في البناء

بأن أبتدي واقفاً

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 231.

وأكون أنا خشباً في بنائي"¹

وتشير الباحثة أن القصيدة ذاتها تتحدثُ عن حلم الشاعر بصنعه سفينة بعدما نبهته الرياح بقدم طوفان، فأخذ على عاتقه بناء السفينة؛ لينقذ بها مَنْ كَنَاهم بـ"الشباب"، حتى جاءه الإلهام، وبدأ بوضع أول خشبة في هيكلها، وهنا تناص ديني واضح مع قصة نبي الله نوح والطوفان وصنع السفينة، فيوضح الشاعر أن الكون معلمه الأول، إذ أسسه لاستقبال ابتلاءات الكون وهو واقف- دلالة على استعداده لتلقيها. ويؤكد أن بدء سيرها سيكون في توحيد المتناقضين في البحر، وهما الليل والنهار على حد قوله.

فكيف إذن ستكون علاقة الشاعر بخالق الكون؟

هذه الأبيات الآتية تلخصُ أعلى مقامات التصوف عند الشاعر، وهي "الاتحاد" والاندماج الذاتي مع ممسك زمام الكون، فلفظة (الأشعار) الأولى أنت بمعنى المحسوسات دالة الشاعر على خالقه، ومن ذلك أخذ يكتب الأشعار الثانية-أي "منظوم القول"²؛ ليدلل على وجود الله، فهو يعترف بشاعريته تجاه ما يراه في الكون، إذ يقول:

"دلنتي الأشعار عليك

فكيف أدل عليك

بجمرة أشعاري

مولاي خذني إليك

تمسح فانوسك ونشع بكل الأسرار"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص347.

² ابن منظور: لسان العرب. ج4. ص410.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص141.

فيصبح بوحاً صامتاً في حضرة الله، فيقول:

"أنا في هذه الساعة

بوح آخرس

فوق مساحات خرساء

أتمنى عشقاً خالصاً لله

وطيب فم خالص للتقبيل

وسيفاً للثورة"¹

فبعد اتحاده مع الله يطلب منه عشقاً إلهياً لا يشاطره شيء، مرفقاً بالحب والثورة.

إذ صاغ النواب في أبيات ذكرتها الباحثة سابقاً كيف بدأت علاقته بالله منذ لحظة تكوينه الأولى، وهنا يبين أن مرده في النهاية لله أيضاً، فيقول فيه:

"عدت إليك

أحمل شفرة هذا الكون

وانتهت طفولتي

وصرت من طفولة الوجود"²

فالشاعر فهم الكون وما يحتويه، من خلال ما رآه من تاريخ سياسي واجتماعي بشع، فرجع إلى الله، وبالتحديد إلى وقت بدء الخليقة/الوجود.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص125.

² نفسه، ص232.

وتظهر الحيرة والاضطراب أيضاً حالاً من الأحوال التي عاشها الشاعر، ففي قصيدة "الرباعيات" بيتدئها بكلمة "حيرة"، ويأخذ المقطع بسرد ما يعيشه الشاعر من غربة روحية وضياح، فيقول:

"طائف قد طاف بي

في السحر

ساكباً في عدم

يصخب كأس العمر

صحت يا مولاي

ما هذا الذي فعله

شذر المولى وذابت مهجتي بالشذر"¹

فشدة الشوق لله خلقت في نفسه الاضطراب والحيرة، وتذكر هذه الأبيات حوار النواب السردي مع الله، وكأنه رفيق ليله الدائم، إذ لا حواجز في علاقتهما معاً، رافعاً صوته بالصراخ على المقدس الأعلى، ويقول له، لماذا تفعل بي كل ذلك؟ لكن المقدس/ الله ردّاً على النواب بالشذر حاملاً التوعد له، فما كان من الشاعر إلا أن يخجل من فعلته هذه، حتى اختفت ذاته المحبة بشذر الله.

أما حال الحزن فهو من أكثر الأحوال والمصطلحات شديدة الحضور في أشعار النواب الصوفية، فهو حزن وجودي على مصير ذاته المغتربة عن وطنه، وحزن وجد وعشق لمفارقة إياه.

فالحزن دائم في روحه، فيقول فيه:

"يا ملك البرق الطائر

في أحزان الروح الأبدية

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 489.

كيف أندس كزهرة رؤيا

في شطحة وجد صوفية¹

فالشاعر يجد حلًا للأحزان الدائمة في روحه، بأن يقوم بشطحة صوفية يعتربها أسمى أحوال الحب، ألا وهو الوجد، والوجد عند الصوفي يعني "أنَّ السالك إلى الله لا يخلو من أن تكون له مع الله حالة من الأحوال-تحصل-بحسب تمكنه".²

فهو-أي النواب-يعترف ضمناً أنه متصوف مضطرب الروح بسبب الحزن كما جاء في قصيدة "فتى اسمه حسن"، لقوله الآتي:

"كما حضرة صوفي

يتنفس من ذكر دولة

مضطرب الروح

إذ لم يضطرب الصوفي

فكيف يكون طروباً"

فمصدر هذا الاضطراب كما توضحها الأبيات السابقة نجس الدولة، إذ حوّل الشاعر المدينس إلى وسيلة تقوده إلى الطرب الصوفي، ويعرف الأخير "

أما ففي قصيدة "المسورة أمام الباب الثاني" التي يتحدث فيها عن رحلة سفر في عشق البلاد، يقول فيها:

"على فكرة

أنت من شدة الحزن

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص119.

² صادق، صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية". ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1994. ص363.

والصمت

تقطع تذكرتين لنفسك

تقطع حزن.. حزن"¹

إذ سيطر عليه الحزن عند مفارقة وطنه، فقطع تذكرتين: واحدة للحزن والثانية للحزن أيضاً، وتكرار قطع التذاكر ما هو إلا علامة تفشي الحزن فيه، في جميع المحطات، حتى أصبح "صندوق جمع الإعانات للحزن"²، وهويته التي ينتمي إليها، بقوله هذا:

"نحن من باب الشجى/ ذي الزخرف الرمزي/ والألغاز والمعزى"³.

فيبكي على ما آلت إليه العراق من حزن وأسى، فهو صاحب وفاء لها، فحزن معها وبكى عليها.

فيقول في حزن العراق:

"يا بلدي يا بلدي

تعالى نبك الأموات

نبك الأحياء

فأنت حزينة

والحزن ثقيل في الليل"⁴

فالداء ثقيل على المريض ليلاً، أما حزن الشاعر وبكاؤه على العراق ثقيل بلا وزن؛ كون كلمة ثقيل غير معرفة، فنحن لا ندرك حجم هذا الحزن بينما الشاعر طافح به.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 273.

² نفسه. ص 275.

³ نفسه. ص 263.

⁴ نفسه. ص 160.

ويقول أيضاً:

"أبكىك بلادي بحجر الغرباء

كل الحزن لدى الغرباء مذلة

إلى متى ستبقى يا وطني

ناقلة نطف مدهنة بسخام الأحزان ونموت مذلة"¹

فالنواب يدرك ذل الغربة ومشقتها، فالمشتاق إلى وطن لا بد أن يغترب عنه، فالحزن طريق الذل والذل طريق الموت.

فالحزن على بلاده يتوغل في أعماقه، حتى ذهبت لهفة المحب وشغف العشق.

عندما قال:

"يا وجد ما كنت بدون حماس

وما ظل في خاطري إلا النشيج اللجوج"²

فيطلب من الحزن مخاطباً إياه: "كن يداً أيها الحزن أقطف ولا تكن ريح"³.

صبر الشاعر النواب في سفره الصوفي، وكذلك في غربته عن العراق، فيقول:

"اليالي أطول من ظلمات الخليفة / خال سوى من فتات من الصبر"⁴، إذ ظلّ يتمتع بقدر قليل من

الصبر، مكنه من مواصلة السفر الروحاني دون كلل أو ملل، ولم يعد بحوزته الكثير منه.

سائلاً المطلع على حبه-أي الله-كيف الصبر يهدئ الهوى وهو نار؟

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 157

² نفسه. ص 191.

³ نفسه. ص 254.

⁴ نفسه. ص 220.

إذ يقول فيه:

"الهوى أسرار

يا الذي تظفي الهوى بالصبر

كيف تظفي النار بالنار"¹

فالنواب أذن متمسك بالصبر حتى يحدث اللقاء، فلا يستطيع مقاومة ما بداخله من شوق وتطلع لملاقة الحبيب.

وبعد هذا الصبر يطرق النواب باب التوبة، قائلاً:

"أتوب/ وصمتي يعترف/كيف الصبر على جسد كان يتنتأ"² فالصبر ملازم لجسد الشاعر، فكيف يستمر بالصبر وجسده نحيل ضعيف؟ طالباً من الله الغفران من كل الخطايا، فهذا المحبوب-الله- أعلم بنية الشاعر وتوبته النصوح، فيقول:

"وألب في لبّ القلب

كل النوايا

وأستغفر الله إطباقه فم

إعفاءة الله بين الخطايا"³

فالنواب إذن مرّ بأحوال وانفعالات شعورية أحس بها عند لقائه الله محبوبه أو أثناء مشاهداته للكون، هذه الأحوال مرتبطة بالقلب، خزان الانفعالات وتقلباتها من بسط وقبض وحزن وذوق وخوف وطرب وانزعاج واحتجاج.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 261.

² نفسه. ص 353.

³ نفسه. ص 359.

وبامتلاك النواب "قدرة عالية على الالتقاط والتصوير والانتباه إلى أصغر الأشياء والتفاصيل"¹،
عرّف القلب من خلال سلسلة تشبيهات في لوحة طبيعية صحراوية، بقوله:

"والقلب حمامةٌ برٌّ

لألأها الطلُّ تشدو

والشدو له ظلُّ

والظل يمدُّ المنقار

لشمسِ الصحراءِ لغةً

ليس يحلّ طلاسما

غير الضالع بالأضواء"²

ومن خلال ربط أول اللوحة بآخرها ندرك أنّ القلب لغة لا يفهمها إلا من ملك رؤية لا يستطع الآخرون فهمها، ألا وهي البصيرة القلبية، إذ يمتلكها المرء بتأمل والتفكير بملكوت المقدس الله، فيكن قلب الشاعر بصيرته، لينفذ من خلالها إلى الروح الأعلى/المقدس.

وجعل قلبه كذلك بوصلة لكل هادٍ، فيقول:

"اعتمدوا القلب /فالقلب يعرف الرياح الدنيئة سينة"³، متخذاً منه سلاحاً ضدّ مزوري التقارير الحكومية عنه، فيقول:

"إذ وجدوا القلب دائرتي/ وجدوا به التحدي ومنه العزيمة"⁴.

¹ ياسين، باقر: مظفر النواب حياته وشعره". ص 49.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 124.

³ نفسه. ص 369.

⁴ نفسه. ص 260.

فبطبيعة حال الصوفي هو ذلك الذي سلم روحه-عقله وقلبه-"كتسليم إسماعيل عليه السلام، وأحزانه كحزن داوود عليه السلام، وصبره كصبر أيوب عليه السلام، و فقره كفقر عيسى عليه السلام، وشوقه كشوق موسى عليه السلام، وإخلاصه ومناجاته كإخلاص ومناجاة محمد عليه الصلاة والسلام".¹

ومن ملامح الشعر الصوفي عند النواب:

أولاً: كثرة الرؤى والأحلام، التي تعدُّ من أهم مصادر التلقي عامة عند الصوفي، فهي "نوع من أنواع الكرامات وتحقيق الرؤيا لخواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تقرر في قلوبهم"².

وهذا التصور يعدُّ "تجسيداً لرغبة ما من رغبات النفس (اللاشعور)"³،

فيقول الشاعر:

"فجاء الله إلى الحلم

جاء حسين الأهوازي

جاء التعذيب

جاء النخل

جاءت قدمي الملوية

جفَّ الطين عليه

¹ العطار، فريد الدين: "تذكرة الأولياء". تحقيق محمد الجادر. ص447.

² القشيري، أبو القاسم: "الرسالة القشيرية". ط1. مصر: مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده. 1940. ص604-605.

³ هويدي، صالح: "بنية الرؤيا ووظيفاتها في القصة العراقية القصيرة". السعودية: مكتبة العبيكان: 2006. ص 11.

طارت في عتات القلب فراشات حمراء

وأشجان حزينة

ألمني الجرح

وخرجت قدمي كالرعب من الحلم"¹.

إنَّ المتأمل لهذا الحلم يلاحظ أنه مبنيٌّ على حضور متعدد: الله وحسين الأهوازي ومحسوسات أخرى (قدمي الملوية، التعذيب، النخل) تواجدت فيه، وكان الحزن سائداً على جو اللقاء، وتشير الباحثة إلى علاقة الحلم وربطه بالواقع، بأنَّ قدم الشاعر الملوية في الحلم أخذت تؤلمه ففاق على ألمها في الواقع.

فروياه هنا صدرت من بين المحسوس والمتخيل، فكانت صادقة ولم تكن أضغاث أحلام مبعثرة.

وفي موطن آخر، يقول:

"غامت عيناى من التعذيب

رأيت النخلة

والنهر المتجوسق بالله على الأهواز

وأصبح شط العرب قريباً مني

والله كذلك كان هناك

احتشد الفلاحون علي

منهم علي وأبو الذر والأهوازي و لومبا أو جيفارا أو ماركس أو ماو

لا أتذكر

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص177-178.

فالثوار لديهم وجه واحد

هي روعي"¹

فهذه الرؤيا تتشابه مع سابقتها في الحضور نفسه والتفاصيل تقريباً، ولكن تختلف بعدد الشخصيات البشرية ذات الدلالة الرمزية الثورية، فهي أكثر كماً، فالشخصيات هذه من كبار وسادة الثورة في العالم، فهؤلاء جميعاً معروفون بنضالهم الأممي وتمردهم على الواقع.

وترى الباحثة أن توطر رؤيا الشاعر من خلال البحث في بنائها وعلاقتها بالواقع، فيعيش الشاعر التعذيب والاضطهاد على يد جلادي الشاه في طهران كما يذكر، مما جعله يرى وجوه الثوار كونه ينشد الإصلاح الاجتماعي لوطنه. فالفعل "احتشد" يبين كيف "احتضنه فلاحون قرى الأهواز وضمّدوا جرحه"² وهذا ما عناه النواب بمبدأ التعاون.

هنا أيضاً رؤياه جاءت بعدما غيبه التعذيب، فرأى صاحبي جليل، فيقول:

" كان أبو ذر خلف زجاج الشباك المقبل

يزرع في شجاعته فرفضت

وكانت أمي واقفة قدام الشعب بصمت فرفضت"³

إذ ظهر له أبو ذر الغفاري خلف الشباك يحث فيه الصمود والشجاعة، فرفض الاعتراف أمام جلاديه، ولم أبو ذر دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم؟

فأبو الذر يعدُّه النواب والمتصوفة عامة "أبَ الفقراء، متخذين منه علماً لشجاعته عند إعلان إسلامه وتحمله الأذى في سبيل ذلك".⁴

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 183.

² ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص 25.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 185.

⁴ أنظر: هلوي، محمد: "حياة الصحابة". تحقيق بشار معروف. لبنان: مؤسسة الرسالة. ج 1. ط 1. 1999. ص 353-

355.

أما عن حلم النواب الشعري الأكثر إثارة، ما نطالعه في هذه الأبيات من "قصيدة من بيروت" التي يبين فيها وضعه النفسي المضطرب، فيقول:

"أقسم أني رأيت رؤى

لم أكن حالماً

إنما كان جسدي في الحلم

لم أكن يقظاً

إنما قلبي

تجتمع في الناس

قتلتني المدينة التي طلقته

المهم أني رأيت رؤى

منذ عامين

حدثتُ عنها لكشف الثواني

وكان تراب الوجود ورائي"¹

لم يحدد الشاعر حدثاً أو شخصيات في هذه الرؤيا، لكن أوضح حاله فيها، فكان بين اليقظة والصحو أي أن القلب والجسد والعقل متواجدون في الرؤيا، ثم وضَّحَ زمنها "منذ عامين" وكذلك مكانها حينما قال: "وكان تراب الوجود ورائي"²، إذ أخذت الرؤيا هنا دور الإخبار بالحدث قبل وقوعه، معتمداً الشاعر السارد هنا على الإيحاء عنه دون استخدام المباشرة في توضيح ملامح

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 328-329.

² نفسه. ص 329.

هذا الحدث، ثم أتم حديثه عن حثّ المقاومين بعدم التهاون في السلاح، والبقاء عليه مشروعاً، وكأنه في القصيدة يتنبأ بمستقبل مجهول ليس من السهل تحديده.

فالصوفي يرى الرؤيا لولعه بالمحبوب الإلهي، لكن رؤيا النواب رغم جوهرها الصوفي هذا، إلا أنها مرتبطة بالثورة واستمرار نضاله السياسي.

وتتجلى صوفية النواب الدينية في المقطع الأخير في وترياته الليلية الملحمية، حينما قال:

"موت علمني الدنيا

ونبي علمني أقتحم اللج وأجمل ما في الماء قناديل

الرؤيا

ألهمني الدرب السري

فلما حدقت... أضأت

رأيت وجوهاً في بئر النور

كأني أعرفها أكثر مما أعرف ذاتي

ومددت يدي فاختلج البئر وغابوا"¹

وتظهر الصوفية في اللفظ والمعنى، فالموت يجعل الصوفي مدركاً للحياة الآخري، وأن دنياه زائلة، ثم يأتي على ذكر من هو أعلى منه مقاماً يتعلم منه القوة كناه بالنبوي.

ثانياً: يبدو الغناء ملمحاً صوفياً لامعاً في أشعار النواب من قصيدة "الوترات الليلية" إلى قصيدة "المسورة أمام الباب الثاني"، إذ جعل الصوفية لـ"لأصوات، والأنغام، والألحان، أثراً عميقاً على الروح والقلب والبدن، وسراً عجبياً؛ لأجله تستلذ الروح والنغمات والأصوات الشجية"².

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 187.

² صادق، صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً". ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1994. ص 645.

فمصطلح (مغني المحطات) الذي أخذ يغني في كل القطارات والمحطات، ذات حضور في أشعار النواب، إذ يحمل السرد الشعري في القصدتين السابقتين ضميراً عائداً على المتكلم، الذي يُحتملُ أن يكون الشاعر ذاته المغني كونه يحمل جذوراً موسيقيةً في عروقه، أو مغنٍ تخيليه منبثق عنه، إذ يؤكد على قوة هذا المغني وأثر أغانيه في انطلاق الجسد نحو المراد الروحي "الشطح الصوفي"¹.

ويقولُ النواب في عود أبيه الموسيقي:

"علمني قبل لقاء الضيوف

وقبل ارتفاعي إلى شرف البندقية

كان يقول: الأغاني كشق الفواكه في القلب

أهم المغنين من يشعلون الأغاني

ومن يمطرون المطر"²

ويقول في موطن آخر، مصرحاً إنه مغني الفجر:

"إني المغني يغني

عن الفجر بالدشت

والرشت

والرشت هذا

أمير المقامات قبل الصبح"³

¹ هو " ما ينطق به بعض العارفين مما يوهم أو يقتضي أن لهم شفوقاً وعلواً على مراتب النبيين والمرسلين"، أخذ من: حمدي، أيمن: "قاموس المصطلحات الصوفي". القاهرة: دار قباء. 2000. ص 67.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 298.

³ نفسه. ص 300.

إذ جعل من الغناء أساساً للحياة، كونه أحد ألوان الطرب الصوفي العميق، فهو يدعو المتلقي أثناء صمته في مجالسة الكون، بأن يكون الطرب مناله الوحيد، لكنه ذكر نهاية أمير المغنين الصوفي، فهو بين المنافي، إذ لم يعدّ يحتمل الغناء، مشيراً إلى تركه كراسته الغنائية لمن سيأتي بعد، وهنا تؤكد الباحثة أن يكون مغني المحطات هو مظفر النواب نفسه، فكلاهما-أي النواب والمغني-أخذهما النفي إلى بلاده، لكنهما تركا خلفهما إرثاً عظيماً، شعرياً وغنائياً.

ويوضح النواب سبب اعتماده على الغناء كأداة لبيان فكره، ولزيادة الوعي لدى المتلقي السامع، إذا فرق النواب المتصوف بين الإيقاع الشديد الحربي الذي يتلوه حماس الثورة، وبين الإيقاع الساذج الذي يتلوه سبات، عندما قال:

"هناك مسافة ووعي"

بين دخول الطبل على العمق السمفوني

وبين خروج الطبل الساذج في الجاز

وقفت وكنت مع الله قريباً¹

فالنواب يرى خسارة الحرب أو ربحها رهناً للوعي، حتى ولو كان الغناء مصدر الوعي لديه. فهو ذلك المؤمن بجودة الفن الذي ينشد الحلم الوطني والقومي.

على خلاف ما نعته به علي الخليلي، بقوله: أن شعره فيه "سيطرة المفردات البائسة، مثل: البكاء الجوع، التي تصادر ووعي الشاعر التقدمي لمصلحة صوفية جديدة توغل في الشعر فيكون الطرب كلاسيكياً"².

فأين الكلاسيكية من أشعار تغنت بحرب المقدّس دفاعاً عن أرضه وشعبه المقدّسين؟

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 187.

² الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". القاهرة: مكتبة المدبولي. 2002.19.

2. التصوف الاجتماعي

يعدُّ الاغتراب عن الوطن أحد موضوعات أشعار النواب الصوفية، في ظل الظروف الاجتماعية السياسية التي أدت إلى تغريبه عن أرضه، إذ عاش بين فكي كماشة: الاستبداد الداخلي من الحكم السياسي في وطنه العربي عامة والعراق خاصة، وهمجية الغرب في بلاد العرب هذا من جهة، ومن جهة أخرى ترحاله بين المدن والعواصم العربية والغربية، فمن "يحبُّ وطناً يعيشُ مغترباً"¹ عنه، من هنا نمت صوفية الشاعر وأخذت تكثر في أشعاره لاشتداد الصراع المجتمعي.

هذا الاغتراب جعله يتطلع باستمرار إلى بلدان تحمل الهدوء والطبيعة الهادئة؛ ليخلق منها مكاناً للثورة، مثل البقاع اللبناني والأهواز العراقي، ويذهب إلى بلدان غربية تحمل الثورة على عاتقها؛ لتكون ملاذاً حنوناً لأفكاره وغربته عن وطنه.

فالنواب مارس الاغتراب بنوعيه: "اغتراب التماهي والذوبان في الآخرين، واغتراب الرفض والانفصال عن الآخرين".²

اغتراب في جماعة الثوار الفقراء العاشقين للوطن/ المقدّس، يتلوه انفصال عن جماعة الحكام الأغنياء المحبين للغرب وطبائعه/ المدنّس.

فحال المحب للعراق لا يخلو من قصائده، فتعرّفُ المحبة على أنّها: "تعلق القلب بين الهمة والأنس، في البذل والمنع على الأفراد، والمحبة أولى أودية الفناء"³، والشوق والاشتياق للعراق تدخل في باب المحبة في أشعاره الصوفية، فيقول الشاعر في شوقه:

"والشوق

قد كبر عشرين عاماً

¹ المذكور، حسن: مقالة بعنوان "مؤبد الاغتراب". دنيا الوطن. نشرت بتاريخ 2016/6/8م.

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/406424.html>

² هويدي، محمد: "الاغتراب في شعر مظفر النواب، الوتريات الليلية أنموذجاً". العراق: جامعة المثنى. نشرت بتاريخ 2017-9-22م.

³ الهوري، عبد الله الأنصاري: "منازل السائرين". لبنان: بيروت. دار الكتب العلمية. 1988. ص88.

وصار اشتياق

وما من دموعٍ أداوي بها

حضرات الهموم الجليلة

إلا قميصي

وقلبي

وكلمة حزن"¹

فهنا تلاحظ الباحثة حضور حقلين دلاليين، يلخصان حال المحبة وصورة الحب عند الشاعر، هما: حقل الحب بلفظي (الشوق، الاشتياق) وحقل الألم بألفاظ (الدموع، الهموم، الحزن)، فالعلاقة بين الحقلين هي علاقة سببية، إذ ينبثق الثاني من الأول ويعبر عنه، فلولا ما في الحب من ألم ما تحدث عنه أحد من المحبين. فهو بين شوق "يسكن باللقاء والرؤية، واشتياق لا يزول باللقاء"².

ويقول أيضاً في قصيدة " المساورة أمام الباب الثاني " عن حبه العراقي:

"رب

لم يبق في العمر شيء

سوى ساعتين صباحاً

على دجاء والعراق معافى

نزىل المنافي عن الروح

نغسلها

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب" .. ص254.

² القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية. ص278.

ونوافيك غير حزاني

وأنظف شيء بنا القلب

والراحتان

وأغنية للوصال¹

فحال المحبة عند الشاعر هنا، تعدّت حدود العاطفة إلى حدود الفعل، فعل المناجاة التي يسعى بها المحب للخلاص من المنفى والحزن والغربة عن الوطن بقاء محبوبه نقي القلب والكفين. فالذة الوصال مأسوية دوماً، فرائحة الموت تنبعث في كل حب، وشبح الموت يتراءى في كل فعل حب².

ويشير الشاعر بأن اغترابه ليس بيده، مثل غيره، فيقول:

"أدعو رحيلاً عظيماً

لمن يملكون زوارقهم

إنه الشوق

آه هو الشوق

آه هو الشوق

هو الذي لا يتوازن فكيف اتزاني³

فالشوق عنده رغبة متأججة متصلة بالعراق حبيبه، يحمله إلى أقصى درجات الوجد، حينما قال عنه لا اتزان فيه، فلا يُسأل الشاعر عن اتزانه بسبب الشوق غير المتمزن.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". 301.

² أدونيس: "الهوية غير المكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ط1. سوريا: البدايات للطباعة والنشر. 2005. ص73.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص364.

فللهوى عند النواب أسرار وأبواب بين محبين، فهو الهوى للعراق ليس عشقاً، وإنما أكبر من ذلك بكثير، بقوله: "إن من الهوى ما ليس عشقاً وإنما سبيل"¹، حتى صار بهوى العراق مخبولاً، بقوله: "عراقيّ هواه وميزة فينا الهوى خبل"².

هذه الأحوال المتنوعة التي عاشها النواب من "المشاهدة أو الفناء أو الحب تعتبر حالياً، أي أنها تحضر وتغيب، فإن جدلية يعيشها الصوفي، هي جدلية الحضور والغياب والاتصال والانفصال والجمع والفرق، هذه الجدلية هي محور وجوده ومحور ما يعاني منه"³.

وتطرح الباحثة سؤالاً:

هل ينشد النواب البقاء بعد كل هذا الفناء الروحي في المقدسين الله والوطن؟

يوضح النواب حقيقة الأمر الدنيوي الذي مهما يطلبه الإنسان، سيسيرُ إلى الفناء، حيث "الموت منبع كل مسعٍ روحي"⁴، إذ يقول النواب:

"اسمع"

مئذنة العشق

تخالف مئذنة المسجد

قم وتوضاً بنسيجك

إنّ صلاةً لوجودٍ

ليست كصلاة لفناء"⁵

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 531

² نفسه. ص 528.

³ أدونيس: "الثابت والمتحول". ج 2. بيروت. دار العودة. 1982. ص 94.

⁴ أدونيس: "الهوية غير المكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ص 44.

⁵ قصيدة تصوف. <https://tinyurl.com/ydmqksuv>

فالشاعر مدركُ النقيضين (الموت والحياة)، وكل عمل يخصهما يختلف عن الآخر، وهنا موطن آخر يبين أنَّ النواب لم يكن مبتدلاً وبذيء الخلق أو العقيدة كما قيل عنه، كونه أتى بأكثر الأركان العقديّة (الصلاة) لتفريق بين النقيضين، فصلاة الحياة / الوجود تخالف صلاة الموت التي لا يعقبها أي صلاة.

ويقول أيضاً:

"ها هنا ينهل في صمت

رمادُ الموت

يخفي ملعب الأتراب

كم طرفتنا بابك السري

في وجد وخوف

لم تجبنا"¹

فهو يطلب الموت في حالتي وجده وخوفه، مؤمناً بحقيقة مرده الأخير دون الخوف من طلب مجيء الموت إليه. فالفناء عند الشاعر، هو: "أن تفنى هوية الشاعر في هوية الحق تعالى بإبعاد جميع الخلق".²

3. خلاصة التصوف الديني والاجتماعي

فيما سبق، يتضح كيف كانت علاقة الشاعر بالله، وكيف انبثقت منها صوفيته الروحانية، فالله حضور الشاعر ودليله وحببيه المميز، حيث تنوعت نداءاته لله، تارة بقول "رب" إما بإضافة حرف النداء أو حذفه، وتارة يناديه إله البحر أو إله البر، وتارة يناديه علناً مولاي، وتارة

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص264.

² دير، شعبان: مقالة بعنوان "جدلية الاغتراب في الشعر الصوفي". مجلة ديوان العرب. نشرت بتاريخ 16-8-2009م.

ص39. <https://tinyurl.com/yeu5t2us>

يخاطبه يا طير/طائر البرق، إذ جاءت أشعاره الصوفية مرتكزة على حسن التوجه بالقلب والفعل إلى الله.

فالنواب عاش الصوفية في مرحلتين: مرحلة الإنسان الشاعر الذي ينتمي للمذهب الصوفي، ويظهر ذلك في تجلياته وحواراته مع الله عند الخلوة ليلاً، أثناء "محادثة السرّ مع الحق حيث لا أحد ولا ملك"¹، إما بالنظر إلى خلق الله؛ ليُقدّر قدرة الخالق، أو بالجوء إليه، وتنقله بين المقامات الصوفية من مقام التوبة لمقام الصبر لمقام التوكل والرضا، وعيشه فيها أحوالاً متعددة (حال المحبة وحال الرجاء وحال الشوق وحال الخوف).

وتتحدّر من صوفيته الدينية المرحلة الثانية: صوفيته الاجتماعية المتمثلة باغترابه عن المدنّس، والتماهي في المقدّس، إذ يجمع النواب في أشعاره بين المرحلتين، فيرجع إلى الله ليبين الشوق والحزن والحنين الطافح للعراق.

وتمتاز أشعاره الصوفية بالآتي:

1. كثرة المصطلحات الصوفية، مثل: (الشجي/الحزن/الباطنية/شطحة/الروح الأبدية/الخلوة/العشق/قناديل الرؤيا).

2. لغة الشعر الصوفي لديه لغة دينية بحتة؛ لكثرة التناسل من آيات القرآن، وذكر قصص الأنبياء، مثل: إلهامه الرباني ببناء سفينة إنقاذ كقصة نوح عليه السلام، وجعله من أيوب مظهرًا للصبر، وصلب عيسى عليه السلام دليل المعاناة، ويعقوب وكيد بنيه رمزًا للصراع العربي الصهيوني، حيث بدت الألفاظ قوية مؤثرة في المتلقي.

3. وجود عبارات خاصة بكبار المتصوفين، فالنواب في أشعاره قد تناسل معها حرفياً أو مضموناً، فذكرت الباحثة سابقاً أشعاراً تحمل مضمون بيتي رابعة المتصوفة هنا، إذ تقول:

"زادي قليل ما أراه مبلغني/ألزاد أبكي أم لطول مسافتي

¹ المناوي، عبد الرؤوف: "التوقيف على مهمات التعاريف". تحقيق، حمدان عبد الحميد. ط1. القاهرة: مكتبة عالم الكتب. 1990. ص185.

أتحرقني بالنار يا غاية المنى/ فأين رجائي فيك أين مخافتي¹

4. ذكره شخصيات صوفية تركت في نفسه أثراً عميقاً، مبيناً كيف التفت حولها القلوب والعقول، وهي شخصية رابعة العدوية أم الصوفين، فذكرها لم يكن عبثاً في أشعاره؛ فكلاهما عراقيان شهدا صراعاً سياسياً مذهبياً كلاً في عصره، فلجأ بروحهما إلى الشطح الصوفي للراحة والخلوة والسكينة. وتوظيف النواب للشخصية الصوفية له الأثر في التعبير عن ذاته أثناء اتصاله بالله وبعده عن العباد.

فالتجربة الصوفية لدى النواب، هي: "أن يقول ما يُعرف أنه لا يقال لكي يخلق تطابقاً أو تماهياً بينه وبين السرِّ وبينه وبين المطلق ولكي يعيش في كون لا ينتهي"²، إذ ملأها بالنصائح الكثيرة من البعد عن الطمع وترك كل الخلائق والعلائق الدنيوية لتصفى روح المرء لله وتتجمل بالصبر والتحمل.

وحيال التحليل السابق تلاحظ الباحثة الآتي: أنَّ النواب لم يكن مغالٍ في التصوف حد الشرك والبعد عن الألوهية، فالتصوف عنده يكمن بالتوجه الروحاني بالجوارح والأفعال لإكمال علاقته بالله تعالى.

ثانياً: المرأة في أشعار النواب بين المقدَّس والمدنَّس

أخذت المرأة في أشعار النواب تحتلُّ مساحة لا بأس بها، إلا أن الصورة التقليدية لها أقل مساحة من تلك التي تحمل دوراً جديداً متنامياً للمرأة العربية عامة والأم العراقية والفلسطينية والبيروتية والبقاعية خاصة.

وقبل اللوج في صور المرأة عند النواب، ستبين الباحثة اختلاف استخدام النواب للألفاظ التي تدل على المرأة في أشعاره، إذ نوَّع في استخدام لفظ (امرأة، أنثى، طفلة، فتاة، أم، نساء/ نسوة).

¹ بوفلاقة، سعد: "رابعة العدوية البتول الشاعرة المتصوفة". مجلة حوليات التراث. الجزائر: جامعة عنابة. العدد8/

2008، ص35. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/39121>

² أدونيس: "الصوفية والسريالية". بيروت: دار الساقي. 1992. ص 24.

فلجأ النواب إلى استخدام لفظ امرأة أكثر من غيره في مجمل أشعاره، فذكر اللفظ ثلاثين مرة مكرراً في بعض الصفحات، مقارنة ببقية الألفاظ، فتأتي أثناء حديثه عن الحزن واليأس العام السائد على أشعاره الذي يشكل ركيزة أساسية خصوصاً في أشعاره السياسية.

أما لفظ الأم يذكر في أشعاره السياسية الملحمية عشرين مرة، إذ تظهر الأم في أغلب اللوحات وبجانبتها (طفل/ طفلة) في جو حربي يستدعي من النواب توضيح تفاصيل عالم الأمومة بينهما من الرضاعة والخوف الزائد والتمسك بينهما بإبقاء شيء يجمعهما سوياً في المشهد.

أما عن لفظ النساء/النسوة تجده الباحثة مكرراً في أسطرٍ شعرية تبين الغربة ومرارتها وانعكاساتها على ذاته الشعرية فجاء اللفظ ثمانية مرات في الأعمال الكاملة للشاعر.

لذلك، تناولت الباحثة صورة المرأة عند النواب باعتبارها أماً وأختاً ومناضلة وحببية وأنيسة له.

1. صورة المرأة التقليدية (الأم البيولوجية)

يدور حوارٌ بين أمٍ بيولوجية وابنها في قصيدة البراءة، إذ صدرت بعنوان فرعيٍّ وهو "الأم"، حيث تظهرُ وهي تعدُّ ابنها ليكون مناظلاً تخاف عليه من اعترافه بالسلطة، مكملةً بدورها نضال ابنها، هذه القضية التي تشغل بالها خشية العار المدنس من المجتمع المحيط بها، إذا ابتدأ الحوار بينهما من خلال تذكير ابنها بطفولته البسيطة، ثم تسردُ له مظاهر الأمومة المقدسة من رضاعة ولعب وتودد أسريٍّ بينهما؛ ليثبتَ على قراره ولا يوقع على البراءة.

ففي قصيدته "قصيدة من بيروت" مثلاً يسرد النواب حقائق اجتماعية اختلطت بالسياسة، حيث يذكر نهب الشرف المقدس لأم بيروتية، أذ هتكته الحكومات العربية المدنسة الموالية لإسرائيل، وبذلك حُرِمَ ابنها حليبها، فيقول النواب في هذا المشهد السردِي:

"كنت أرى جثناً

يصرخ الصمت والنهب فيها

كنت أرى امرأة تستباح وتنهب

والطفل يرضع في صدرها في الالتصاق

ولكنهم بتروا راحتيه

وعانوا بصرخته

شجرٌ بالحليب نما"¹

2. صور المرأة الحديثة

أ. الأم المناضلة

فالمصور الجديدة تتمحور حول الأم المناضلة ذاكراً مشاهد متعددة لها، خصوصاً أثناء الحروب العربية مع المدنّس/ اليهودي الإسرائيلي، وما خلفته الحروب من أثار نفسية وجسمية عليها، فيقول النواب:

"وتخفق في الدرب أمّ

كراية حرب

برغم التمزق

راية حرب

وشقٌّ كالشقّ الفواكه في القلب

أرجوك سيدتي

لا تزحي نقاب القتيل

فلم يبق إلا إصبعه

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص322.

طوقت مخزن النار

فاسترسلت في الطرب

ووجدنا قريباً من الدم

كسرة خبز تزغرد¹

إذ لم تقف المعاناة عند الأم العربية فقط، بل طالت أطفالها، فهنا تظهر الأم كشارية حرب تتحرك في اضطراب وتمزق نفسي وجسدي نحو القتل، الذي قد يكون ابنها، أو أحد أقاربها، فأخذت تطرب بموته، فالشاعر غير محدد هوية القتيل، لكن هذه الأم تعرفه جيداً؛ كون الشاعر جعل كلمة قتل معرفة، وما أكمل قسوة المشهد، أن كسرة الخبز دليل الفقر والجوع أخذت تزغرد، والأعظم أن الأم أخذت هذه الكسرة؛ لتطعم الحيوان (العصافير) قبل الإنسان، دلالة على إنسانيتها في ظل حرب ضروس.

في المقابل، يعقد النواب تناظراً بين أم من الشعب وأم حاكم عربي في أبياته الآتية، فيقول:

"حاكم"

وحمت أمه عملةً أجنبية

في يومه

فأتى طبقها

وانقلاب بكل الحبوب

التي تمنع الحمل

يزداد حملاً²

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 393.

² نفسه. ص 377.

فهنا صورة لأم حاكم عربي تتوحم على عملة أجنبية، ويأتي طفلها نسخة عن العملة، على الرغم من كل موانع الحمل، ويظهر جلياً التناص الشعبي مع المثل القائل "بقدر محبتي إليك طلعت خلفتي بتشبهك"، فعنصر الراحة والرفاهية لأم هذا الحاكم، يقابل الفقر والإنسانية لأم لا تجد إلا كسرة الخبز للأكل، ومع ذلك تؤثر العصافير عليها.

أما عن المشهد التالي، يوضح فيه النواب حقيقة الصراع العربي اليهودي الإسرائيلي، بذكر صورة الأم وطفلها حيث العالم في انحطاط مبيناً ذلك بقوله:

"في الأرض

ملك صهيون يدان

أضيء

أيها المشهد المتواضع

للحطة الأدمية

خبر

بأن النفايات

كان فقراً شريفاً

يكدُّ

ويطعم مبرزه من جياع

هذا بهار البهاري

جثة أم وطفلها"¹

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص332.

فصهيون كان فقيراً معدماً، يأكل مبرزه؛ لإسكات جوعه كما يروون عن ذاتهم، ولكن الحقيقة أنه يأكل جثة أم عربية وطفلها ليسكت أطماعه.

وهنا صراخ طفل ملقى على صدر أمه المستباحة، فيقول النواب فيه:

"وصراخ طفل يكوم على أمه المستباحة"¹

وفي موطن آخر يذكر، النواب الأم المناضلة بقوله:

"وأرقص بين الجنازات

هذا دميم

أنا أمه الراقصة البدوية

قدام قاتلها"²

يصف النواب الأم بأنها ترقص أمام جنازة طفلها القبيحة، وتتساءل الباحثة، كيف يكون الرقص نضالاً؟

قد يكون وصف الطفل بالدميم مناسباً لوجود القاتل في المشهد، فالرقص أصل مقدس عند جميع الشعوب، فهو وسيلة لإظهار فرح مبطن بحزن وخوف مخفيين، "وليس وسيلة للهو، حيث ارتبط بالشعائر الجنائزية إذ كان رمزاً للرغبة بالبعث"³، وكأن الرقص غذاءً ليصبر قلبها المكلوم.

ويعرّف النواب أمه، رابطاً إياها بنضاله الثوري، إذ يعدّها معلمته، فيقول عنها:

" أمي هي النخلة الحاملة

أمي هي الأنهر الحاملة

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 345.

² نفسه ص 314.

³ شعلان، سناء: "الأسطورة في روايات نجيب محفوظ". الأردن: نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، ص 332.

أمي علمتني على الصبر

آنذ علمتني على الطلقة الحاسمة¹

لفظة (أمي) هنا، قد تكون الأم الحقيقية البيولوجية للنواب، فهي نخلة بصبرها، ونهر بسماحتها ورقة قلبها، ومعلمة الشاعر الصبر والثورة.

وقد تكون لفظة "أمي" رمزاً لوطنه العراق، فنخل العراق طعامه، ونهره مأواه، وصبره على العذابات قلبه، وطلقاته ثورته. فالأم هي مجموع تلك الأشياء في نظره سواء أكانت أمه الحقيقية أم وطنه.

ويعبرّ النواب عن آثار الحرب المستمرة على الأم، حيث يقول:

"وقد جئت أمسح وجه الشواطئ

من عرق الطلق

فالأمهات يعانين طلقاً عظيماً

بميتة أبنائهن²

يعرض الشاعر نهاية متوقعة لمأساة الأم العربية، حيث الوجد والحزن الدفين، ولكن هنا صورة ظاهرها حزن باطنها ميلاد جديد، فالمتعارف عليه أنّ الطلق مرافق للأم أثناء ولادتها، لكنّ النواب يقلب الواقع لصالحها؛ لأنه أتاها بعد موت أطفالها، وهذا نذير تفاؤل لا تشاؤم؛ كون الأم ولادة على الدوام.

ناشداً النواب من البندقية العربية المقدسة الصادقة أن تنثور لأجلها، بقوله هذا:

"أيها السافلين

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 372.

² نفسه. ص 320

أما تستحي البندقية

حين ترى امرأة

تتوسل تحت البصاق¹

فالشاعر ينادي على المدنس/ السلطات العربية التي تتمظهر بالمقاومة وهي أصل الداء الثقيل على الشعوب، بأن تحمل الحياء في عروقتها وتخلص المرأة العربية من قذارة فعلهم.

وتجد الباحثة أنّ المرأة العربية في أشعار النواب صادقة في نضالها، فهي تلتزم الصبر بدمعها الحزين، حتى تنال مرادها-أن تأتي الثورة أكلها-فيقول النواب شارحاً حالها:

"تعثر صوت أمي

واعترى كلماتها الشلل

وقالت لي قضيتنا... وغصت بالدموع"²

إذ يذكر النواب أيضاً، دور مناضلة لبنانية في أشعاره واصفاً أنوثتها وقوتها الثورية، هي سهى بشارة في آخر قصيدته "ملازم عن المسك وشتائم جميلة"، إذ يقول في سهى:

"تزور الشريط الحدودي

قد زنرت خصرها بسلام صغير، كبرعم ورد

جميع الحقول أنت خلفها تفرج لاهثة

في كمال الأنوثة والعطر والوعي تدخل في جيش لحد

وتفرغ كامل وردتها

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 318.

² نفسه. ص 530.

المسدس وردة هذا الصباح الجنوبي"¹

ب. المرأة الحبيبة

فدور المرأة لدى النواب لم ينحصر فقط في نضالها، وإنما كانت له الحبيبة، فقد يكون الشاعر حبيباً عاش قصة حب عنيفة" لم تخرج للنور"²، فيقول في مطلبه الحنان والحب منها:

"أريد امرأة دفء

فأنا دفء

وجسداً دفناً

فأنا دفء"³

فيرى المرأة شخصية دافئة حانية، فيريدُ اللجوء إليها، فهو مثلها يحمل الدفء والعذوبة، قائلاً لها:

"درت الكون كله وما الكي تزوية تحظني

احضيني

اتعب مني ومن الأيام وعشك الناس

أريد اتلوي بحظنج"⁴

لكنه يصرح لها:

"قد أعشق ألف امرأة ذات اللحظة

لكني أعشق وجه امرأة واحدة

¹ "قصيدة ملازم عن المسك وشتائم جميلة"، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=655543>.

² ياسين، باقر: مظفر النواب حياته وشعره، ص28.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص108.

⁴ النواب، مظفر، صفحة فيسبوكية. <https://www.facebook.com/pagejore/posts/27245715544253371>.

في تلك اللحظة

امرأة تحمل خبزاً ودموعاً من بلدي".¹

فعشقه مرهون أيضاً بحب وطنه المقدس، فمن حملت خبز العراق ودمعه تكون نصيبه.

ج. المرأة الأنيسة

يقول النواب في أشعاره عن نساء الغربية الآتي:

"إنَّ الغربية يا قاتلتي

جرب في جلدي

أتشهى القبط الوسخة

لكن نساء الغربية أسماك

تحمل رائحة الثلج"²

فنساء الغربية المدنسة أسماك لمراوغتها وكثرة ترحالها وتغير مكانها وحملها البرودة، فتقتل النواب في غربته، موضحاً الشاعر دنس نساء الغربية ببيعها نفسها لأكثر من رجل في نفس الوقت وتحايلها وذلك لتشبيهه إياها بالأسماك، فمن المؤكد أن هذه امرأة الغربية لم تكن لبرهة محبوبته أو يتطلع لتكوين صلة معها.

لكنَّ النواب يأنس بامرأة الغربية، فهو يرى فيها روحاً يحدثها عن ثقل أحزانه ومشاعر غربته الجرباء، حتى صارت مقدسة تعادل الوطن وتماتله كونه لجأ إليها ليتخلص من قسوة منفاه، حتى وإن كانت هذه المرأة امرأة هوى مدنسة، فيقول عنها في لقاء يجمعهما في الليل:

"يا أيَّ امرأة في الليل

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص159.

² نفسه. ص158،

تداس كسلة تمر بالأقدام

تعالى

فلكل امرأة جسدي

وتدُّ عربيٌّ للثورة يا أنتى جسدي¹

يسلط الشاعر هنا الضوء على قضيتين: امرأة الليل المضطهدة التي تأخذ من جسدها وسيلة للعيش في الغربة المدنسة، يريد أن يستريح معها.

لكنه يبرز لامرأة الليل القضية الثانية الأسمى، وهي: أنَّ جسده-الجوارح والأفعال-ركن للثورة المقدسة التي تحددُ حاجاته وليست ذاته.

إذ يقول في امرأة الليل الأنيسة له، متخذاً منها مثلاً للشرف يبوح لها عن قذارة أفعال الحكام المدنسين:

"وعيون حذائي تشتتمُ خطى امرأة في الليل

امرأة ليست أكثر من زورق لعبور الليل

يا امرأة الليل

أنا رجل حاربت بجيش مهزوم²

وفي موطن آخر يقول لها:

"يا امرأة الليل

أنا رجل باعوا لليل مدينة أيامي

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص158.

² نفسه. ص426.

باعوني

يا امرأة الحزن¹

فالمرأة هنا تظهر كخليلة له يشكي لها همومه من تجربة ثورية خائنة، وبيع مدينة أيامه لليل-أي للعدو المدنس.

وتشير الباحثة هنا أن الليل عند النواب يختلف عن ليل الحكام العرب، فليله ليل اللجوء والغربة والمنافي والمدن الغريبة والمرأة والحانات والحزن وخلواته الروحية الصوفية كما أوضحت الباحثة سابقاً، أما الحكام العرب فيتأخذون الليل أداة لأفعالهم الدنيئة المدنسة، فيقول: "أراكم تمتهنون الليل"²، فمهنتم الليل، حيث يستترون به لمذابحهم، فيقول في قصيدة "تل الزعتر":

"فالظلمة قاسية/ هذا ليل عربي/ والمذبحة انطفت توقيتاً قبل القمة"³، فليهم ذئب يلاحق الشاعر، فيقول عنه: "ما دام هناك ليل ذئب/ فالخمر مأوي"⁴، فهو يحث على استمرار الثورة لصدّ هذا الليل، حيث قال:

"العرفتُ

بأنّ الثائر لا ييأس

من دفع الصفر بوجه الليل"⁵

وعلى العكس مما جاء به باقر ياسين أن الليل "يشكل عند النواب شاطئ الأمان النسبي والطمأنينة العابرة والسلام المؤجل طيلة أيام نضاله السري وحياته السياسية المشحونة بالخوف

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 436-437.

² نفسه. ص 123.

³ نفسه. ص 565.

⁴ نفسه. ص 129.

⁵ نفسه. ص 439.

والمجهول"¹، فليس كل ليل أوردته النواب في أشعاره يدلُّ على ذلك، وإنما في شعره ليلان: ليلٌ خليله وليلٌ لأعدائه ذئبٌ عليه، كان الأول أكثر تواجداً في أشعاره.

3. المرأة والرمز

لجأ النواب إلى الرمز؛ "الخدمة المعنى المباشر المرتبط بالهدف الواقعي سواء أكان هذا الهدف سياسياً أم غير سياسي"².

فيقرن النواب المرأة وضميرها اللغوي(هي) بأشياء مادية ومعنوية، تركت أثراً في النواب على المدى النفسي والجسدي، هذه الأشياء تعدُّ الأكثر حساسية في حياة النواب الشعرية والدبلوماسية، فهي تمثل المؤنث من الناحية الدلالية، بينما تمثل الذكر في أغلبها من الناحية اللغوية.

فهو القائل:

"الصوت كذلك أنثى

والغربة حين احتضنتني أنثى

والدكة أنثى"³

وقوله أيضاً: "والزمان نسائي"⁴، و

"الزغب النسوي هناك/ يتيه كراس الهدهد في البرية"⁵،

و "وطني البدوي نساؤك منهوبة"⁶

¹ ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص 90.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 82.

³ نفسه. ص 144.

⁴ نفسه. ص 363.

⁵ نفسه. ص 160.

⁶ نفسه. ص 372.

إذ جعل لفظ المرأة معرفة في أكثر سطورها الشعرية، بإضافتها إلى كلمات تعرفها وتوضح حال الشاعر النفسي، فتارة استخدمه لتعبير عن التسبب الأخلاقي التي تعيشه المرأة في مجتمع الغرب وانحطاطه بقوله: (امرأة الليل/الحنن)، وتارة يستخدمه لترمز إلى النقاء والطاهرة وتجنبها السقوط في الرذيلة (امرأة دفاء/ وأمي).

4. خلاصة المرأة في أشعار النواب بين المقدس والمدنس

ترى الباحثة أنّ الشاعر لم يأت على ذكر المرأة باسمها ومفاتها كما تغنى بها شعراء كثر، حتى وإن عاش حباً عميقاً لم يخرج نوره للكون، فتجربته الشعرية الغزلية تحاكي القليل من هذا الحب، والسبب في ذلك؛ أنّ النواب شاعر هجائي بالدرجة الأولى.

ولو طرح سؤال: هل وقع النواب فعلاً في حب حقيقي لامرأة ما؟

فإذا كان الجواب مثبتاً بنعم، فتجربته الشعرية تظهر القليل منه؛ لأنّ شعره الغزلي أكبر من مساحة هذا الحب، ولربما صار الحب مجرد إلهام للشاعر كما في قصيدة "الريل وحمد" إذ كانت المرأة عنصراً أساسياً في آخراج" نص شعري محاك لواقع عاشته فتاة بقرية أم الشامات في العراق".¹

وإذا كان الجواب منفيّاً بلا؛ فيعود ذلك إلى تجربته الشعرية الخيالية الواسعة، والباحثة تجد الثانية أقرب للواقع؛ كون الحب مؤطراً محدداً بزوايا، لكنّ الخيال واسع لا حدّ له، فكثرة شعره الغزلي بالخمر والطبيعة والكون تؤكد ما ذهبت إليه.

وخلاصة هذه الصور تدلُّ أنّ المرأة بوجه عام والأم بوجه خاص أخذت تشكل عنصراً هاماً في الصراع بين المقدس والمدنس كقطبين متغايرين متعارضين، فهي التي تتصدى للحرب وتقف ضد ممارسات المدنس (القتلة/الحكام العرب/ الغربية/المنفى)، حيث تعيش الاضطهاد والتعنيف، إلّا أنّها تصمد أمامه، وتحثُّ ابنها على الثورة حتى لو كلفه ذلك حياته، مما جعل الشاعر يعدها

¹ أنظر، ياسين، باقر: مظفر النواب حياته وشعره. ص50.

أكثر عنصر اجتماعيٍّ تحمل ويلات الحرب، وهذا واضح لكثرة ما أورده النواب من صور لها في الحرب دون غيرها من أفراد المجتمع العربي.

إذ رسم النواب لها صور متعددة معطٍ لها حقها النسوي الجديد، وذلك من خلال تشكيلها عنصراً إيجابياً في الحركة الثورية العربية. رافضاً بذلك الحظر المفروض عليها بملازمة البيت والأولاد فقط.

ثالثاً: الجنس في أشعار النواب بين المقدّس والمدنّس

الجنس المنطقة المحظورة، هكذا يسميه أغلب الناس من العامة، ويفسرون كل عمل تقوم به المرأة أو الرجل بناءً عليه، لكنّ النواب يطرحه بعيداً عن ربطه بالمرأة وعلاقتها الجسدية بالرجل، وإنما ينظر إلى الجنس كعامل شعري مساعد، له مغزى في طرح واقع جديد أمام تحديه الحكومات العربية.

يبرز الجنس فاقعاً في أشعار النواب، حيث يقدم صورة تحمل الدهشة وتبين جرأته الفكرية، إذ يأخذ في استطراد لما يحصل في الطبيعة من تكاثر جنسي في النباتات والأزهار، فيقول:

"أضاع العشب"

وضاجع في الأرز

بكاراة عشتار خضراء

وقام من العمش السنوي

يطهر أصل الماء

بكارات الشبق البصلي"¹

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب" .. ص 237.

ويصدرُ الشاعرُ في موطنٍ آخر في قصيدة "جزر الملح" مدى تأثير هذا التكاثر من ناحية اللون والرائحة على غريزة الإنسان، فيقول:

"والعلمُ برتقالة"

تدور في بنفسج الأرواح

من قوة ذاك السائل الوحشي

في أعماقها

تفتح تلك الشفرة العديمة الألوان للبوح

على غرائز وجهك¹

وغيرها من اللوحات التي تبادر ذهنَ القارئ إلى فكرة الجنس، إذ هو "سرة الكون حيث التقاء المادة بالروح"²، ومنه تطرح الباحثة سؤالاً:

هل ما أورده الشاعر عن الجنس ناتج عن تجربة واقعية؟

تكاد لا تخلو أشعار النواب من كلمة تدل على الجنس مثل: (شهوة/ شهوات، اللذة، الإخصاء، غريزة، البغي/ البغاء/ البغايا/ المبغي، المواخير، الزنى/ الزناة، عهر) وغيرها.

فالنواب عرّف الرغبة أنها:

"في تلك الساعة حيث تكون الرغبة

فحل حمام في جبل مهجور

وأضّم جناحي الناريين

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص228.

² أدونيس: "الهوية غير المكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ص71.

على تلك الأجنحة السرية

فإني أتنبأ أن بذور اللذة

مدّت السنة خضراء وشفرات

في رحم الكون

وأعطت جملاً أبدية

مولاي

لقد عاد حمام الجبل المهجور

يمارس عادته النهريّة

هل تعرف عادته النهريّة¹

إذ ربط الرغبة بالقوة والشجاعة بالفعل، وبالتحديد يكمن ذلك في لفظ (فحل) وهو "الذكر القوي من الحيوان"²، مبيناً بطريقة غير مباشرة أنّ الرغبة هي جوهر الحياة الإنسانية، حيث تضفي اللذة والخضرة عليها، فهل ما أورده النواب عن الرغبة ناتج عن شعوره بالمتعة الجسدية أم شعوره بالفقد والألم؟

فالنواب في المقطع السابق "يجعل القارئ يذوب متعة ونشوة، وكلاهما-الشاعر والمتلقي- يشتركان في عملية يبعتها الكبت عن عبور حاجز الرقابة والدخول إلى ساحة الشعور، لكن الرغبة تشبع بالاشعور تحت غطاء اللعب الجمالي-الأدبي"³.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 172-173.

² ابن منظور: "لسان العرب". ج 11. ص 516.

³ حسن، حسين سرمك: مقالة بعنوان: "حادثة الجنسية الرمزية في قصيدة 'زفة شناسيل'. دنيا الوطن. نشرت بتاريخ 12-

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/347793.html>. 2014-11

ومن السؤال أعلاه تتطرق الباحثة إلى رؤيا النواب إلى الغريزة الإنسانية، إذ عرّفت الغريزة في كتب علم النفس أنّها "الاستعداد الفطري المشترك مع الآخر"¹، وأهم هذه الغرائز في نظر النواب هي البناء، بما فيها من عمار وعشق للوطن وإصلاح للمواطن، إذ ترى الباحثة أن هذه الغريزة تعتبر اللبنة الأساسية في نضوج شعر النواب، وخصوصاً السياسي منه، إذ بين أنّ من الفطرة عشق الوطن دون سبب لذلك، بقوله: "الفطرة ليس لها من سبب"². فنتيجة البعد عن الوطن وفقدانه ترابه أجد فيه رغبة البناء والإصلاح.

فالشاعر لم يقف في طرحه الجنس عند تجربته مع الجسد الأنثوي مخترقاً حجاب المحرمات المقدسة بين الجنسين (المسلمات والثوابت الشرعية)، بل جاء ذكر الجنس كثيراً أثناء حديثه عن الحكام العرب/المدنس، واصفاً إياهم بصفات جنسية، مثل: "الحكام الخصايا"، وأنهم المبغى في قوله:

"تَدَخَّلَ المَبغى لِيَمْنَعَهُ اقْتِحَامَهُ"³، وأيضاً وصفه لهم بـ"صنوج العنة"⁴، و أنّ

"عزمهم خصية نائمة بعد"⁵، و أنّ سفراءهم يتصرفون "كالمومس في أحضان الجنرالات"⁶، وعرضهم مسلوب من الآخر، حيث يقول:

"ويزيد يستعرض أعراض عراياكم

ويوزعهن كلحم ضآن لجيش الردة"⁷

فالحكام العرب في نظر الشاعر يمارسون البغاء بأفواههم أو بأفعالهم.

¹ نايت، ركس: "المدخل إلى علم النفس الحديث". ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1993، ص270.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص217.

³ نفسه. ص535.

⁴ نفسه. ص546.

⁵ نفسه. ص372.

⁶ نفسه. ص101.

⁷ نفسه. ص117.

فيقول:

"الحكام البغايا بأفواههم"¹، ويكشف عن عورة مجتمعهم (طبقة الأسياد)، إذ لا يريدون كسر التابو الديني بفعل الفواحش الجسدية (الجنسية)، لكنهم يمارسون الفاحشة سياسياً بمظاهر عديدة أوضحتها النواب في أشعاره، وهي:

أ. تبعيتهم للغرب: فيقول:

"أُعلِنْتُ التَّعبئةَ الجنسيَّة"

يا عبد الله

عرب

عرب

عرب جداً

أولاد الكلب"²

ب. عمل مؤتمرات القمم العربية الفارغة من لحظة وصولهم، فيقول:

"تبدأ الجلسة

لا

ولن

ولم

ونهي فدا خصاكم سيدي"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 379.

² نفسه. ص 450.

³ نفسه. ص 540.

للحظة عرضهم قرارتهم، ثم لحظة نزولهم، فيقول:

"نزل الأشراف من القمة

بالعورات العالنية

بينهم الصامت بالله

يغطي عورته، أكثرهم خجلاً"¹

ويقول أيضاً:

جماهير الصمت تغض الأبصار

هذا خجل

أثار سحاق في جبهتهم"²

ج. خصيان الثوار العرب، كما يذكر في قصيدة "بالخمر وبالحزن فؤادي":

"دوريات الإخصاء تجوب الشارع

أغرب شيء

أي فم يفتح

فوراً يجري التخدير ويخصى

ما هذا الصمت المتحرك بالشارع إلا الإخصاء"³

فالنواب يشير علناً إلى الخصاص البيولوجي للثائر بسبب موقفه السياسي، كجزء عقابي له.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 148.

² نفسه. ص 148-149.

³ قصيدة بالخمر والحزن فؤادي. <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4663>

وهو بدوره والجمهور (المجتمع) يشكر الحكام، فيقول في شكرهم:

"تشكر سوق الجزائرين

نشكر همة أعضائكم الجنسية

وألقاء الصمت على المغتصبات"¹

يتضح مما سبق، أنّ النواب يربط الجنس بالحكام العرب/المدنس، إذ يمارسونه سياسياً لإشباع شهواتهم الاقتصادية والسياسية مع الغرب، ويجسدون ذلك بالخوض بالقتل والاعتصاب وإتمام المؤامرة مع الآخر الغريب.

يشير الشاعر النواب إلى قضية الاعتصاب بنوعيه السياسي والجسدي في أشعاره، إذ يظهر الأول أثناء حديثه عن اقتطاع الأهواز العراقي وضمه للسيادة الإيرانية، وكذلك سيطرة الاحتلال الصهيوني على البقاع اللبناني.

فالاعتصاب السياسي بالنسبة للنواب يتمثل في اقتلاع الأرض من أصحابها قسراً، حيث أخذت وترياتة على وجه الخصوص تتحدث عن قضية اقتلاع الاحتلال الصهيوني لفلسطين وعروسها القدس من العرب.

أما في قصيدة "قصيدة من بيروت" تحدث النواب عن ابتلاء بيروت المرير، فيقول:

أيها الفحل مزق شعرها الليلي

فقد خرجت للبعاء مسلحة

تركوها تعاني مخاضاً دميماً

من المرض الهمجي بأصلاهم

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 473.

من شيوخ الخليج زنت

من شيوخ الحجاز زنت

من شيوخ اليسار، ثلثه في اللسان

وثلاثه عند اليمين زنت

كل بارقةً لفتحها

وبعض السفارات قد واقعتها سحاقاً¹

ويوجز النواب قضية الاغتصاب السياسي في هذه الأسطر الشعرية بقوله:

" قضيتنا لنا أرض / قد اغتصبت/ وكنا عزلاً"².

أما النوع الثاني "الاغتصاب الجسدي" يصرح به الشاعر ذاكراً الحدث وفاعله وأثاره النفسية على المغتصبة، فهنا يسرد قضية اغتصاب الصغيرات أثناء الحرب اللبنانية مع الاحتلال الإسرائيلي، فيقول:

"والتفتُ إلى جهة الليل

أدخلوا الهمجية في طفلة

كنت أسمع صرختها

قمرًا يتآكل في خجل

من يغطي فخذيها

فإنهما في مواجهة الله

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص338.

² نفسه. ص526.

مكسورتان

والخنازير تعبت

يا رب

قد ملأوا فمها بحشاء دنيء¹

وفي القصيدة ذاتها تلوح طفلة بيروتية تعرضت للاغتصاب، ثم أخذت تراقب خطوة انتصار
عدوها المغتصب حتى ماتت.

فالشاعر لم يبه المشهد الواقعي عند موتها، بل أكمل متسائلاً عن أخلاق عروبتنا:

"ولماذا تركتم على الجسد الغضَّ

خرقة ثوب

مبللة بالحشاء

انهبوها.. انهبوها

لتكمل أخلاقنا²

فالشاعر في هذه الأبيات تناسى قضية الاغتصاب وفاعله، فالعيب ليس فقط اغتصاب الصغيرة،
إنما العيب في الوازع الأخلاقي الناقص حيث نهبه الحكام المدنسون من نفوسهم أيضاً، والعيب
الكبير الذي يراه النواب هو فعل الحكام العرب (الرياء الأخلاقي)، وكأنه يسأل: أليس من
الفاضح أن يستمر أشخاص بهذه المكانة بفعل ذلك؟

والأخلاق في هذه الأبيات دنست، فالشجاعة والعفة والإباء والحمية للعرض (صيانتها) من أهم
الأخلاق المقدسة الواجب وجودها في الذات البشرية.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 323.

² نفسه. ص 325.

وقد ربط النواب الجنس بالثورة والسلاح أيضاً، ففي هذه الأبيات يخاطب عريس البقاع ويحثه على استمرار نضاله، واصفاً العلاقة الحميمة بين السلاح وعريس البقاع كأن السلاح معشوقته، فيقول:

"أما الدروع

ولا بدّ... لا بدّ

ضاجع هذي القناطر

واحدة بعد أخرى

ولا بدّ

عانق سطح مدرعة

حلّ خوذتها بهدوء"¹

ويقول في موطن آخر في قصيدة "فتى اسمه حسن" مشبهاً بنت جبيل بشابة بالغة فاتنة الجسد—
تخلج من غسل ملابس عريسها الحربية الثورية؛ كي لا يبقى عاري الجسد والسلاح، فيقول
الشاعر:

"وهمت بنت جبيل

تصعد في الزعتر والزيتون

وفتنة نهديها البريين

تتلف

ثم تمسك من كتف عركتها الأيام

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص294.

ورشاش الأخمص صارت قاعدة

تنطلق الأسلحة النارية منها

وانحدرت في نهر العشق عروساً

تغسل في النبع البلوري

فتاوي قدميك المدنفتين

وتخلع عنك بقايا البارود

وتخجلُ أن تتعري من هذا الثوب الحربي؟! "

ويأتي النواب على قضية تعدّ الأكثر حظراً عند الإنسان العربي وهي الشرف، فيقول:

"حاول طفل أن يستر جثة جدته

فمن المخجل

أن تعرض أفخاذ الجدة

أردوه على فخديها

لا بأس بني

فذاك غطاء"¹

فهذا الطفل الصغير يغار على شرف جدته الميتة الذي سلبه الحاكم العربي المدنسَ منها، فشرفها
أثمن ما يملك في لحظة الفقد والعجز أثناء الحرب، لذلك كان على الصغير أن يحافظ عليه ولو
بحياته، حيث لا مال ولا جاه لستر العيب والعورة، فالشاعر يوجهنا نحو قضية أعمق، أنّ

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص547.

الشرف يفوق حواجز الموت كون الشرف هو القضية، فالنواب لا يريد أن يتلوث هذا الشرف أكثر بجرائم المدنس، لذلك كان لا بد أن يقدم الطفل جسده غطاءً لجذته فداءً لشرفه المسلوب. أما عن ممارسة النواب البغاء/الزنى ذكرت في أسطر شعرية تحدثت عن القهر الذي يشعر به النواب من الحكومات العربية، فيقول:

"تحن بغايا مثلك

يزنى القهر بنا

والفكر الكاذب

والدين الكاذب"¹

ويقول أيضاً في موطن آخر:

"وتمارس كل فراشات المرج

بأكمامي

شغل الليل

ومن عبقري

شبقاً ترتشف

أسكبهن ثمالات

شف مفاصلهن

نزيف الألق القمري

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 496.

على مفصل ماء

بالسرة يرتجف

وأمد يدي مولاي!

إلى سرتها

تتغارق¹

ففي محطات العمر التي مرَّ بها النواب كما تذكرها أشعاره، سؤال يلحُّ عليه دوماً، هل أبحث عن مبغى؟

والمبغى في معجم لسان العرب، "يحمل معنى طلب الفساد، والبغاء هو الفجور والزنا والبغى الزاني"²، فمظفر كشاعر وقائد ثوري كان مقدساً-أي قائد سلطة الفقراء-وفي سؤاله هذا يدخل النواب ذاته ومبادئه في الدائرة المدنس، فكيف ذلك؟

فالمبغى المكرر ذكره عند النواب يمثلُ المخرج المخلص له من الواقع السياسي المعيش، ولربما يكون وسيلة ليتخلص أيضاً من حزنه الدائم، فالمبغى من حيث الدلالة عنده لا تعني مكان الفجور، حيث يقول:

"المبغى في ليل مدينتكم/ أكثر تسليّة من حزني"³، ولكن أيقعلُ أن يكون الوطن المنتظرُ مبغى؟ أم أن البحث عن الوطن المفقود بين المنافي يُزلقُ القدمَ نحو المبغى الجسدي لينسى المرء قضيته الأسمى؟

فالنواب يصرح بالجواب، قائلاً:

" هل وطن تحكمه الأفخاذ الملكية؟ "

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 351-352.

² أنظر: ابن منظور: "لسان العرب". دار المعارف القاهرة، 321-323.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 441.

هذا وطن أم مبغى؟

هل أرض هذه الكرة الأرضية أم وكر ذناب؟

ماذا يدعى القصف الأممي على هانوي؟

ماذا تدعى سمة العصر

وتعريف الطرق السلمية؟

ماذا يدعى استمناء الوضع العربي أمام مشاريع السلم¹

فالنواب لا يطلب مكاناً للفجور الجسدي، بل يوضح أن وطنه العربي الذي يحكمه المندس السلطوي صار مبغى للزناة والفجرة، رابطاً ضياع الوطن بالمشاريع السياسية الفاسدة، مستخدماً لفظين يدلان على الجنس (تعريف/ واستمناء)، إذ يرفض خطط السلام الأممي وحلوله غير المنصفة، حيث يقول:

" سارع بالحل السلمي قليلاً

أولاد القحبة

كيف قليلاً؟

نصف لواط يعني²

وعن ممارسة النواب البذاءة والبغاء، يقول بضمير الأنا مستهزئاً من هزيمة العرب

"أنا مبتذلٌ وبذيء كهزيمتكم"³. ويقول أيضاً:

"ها كاشف فخدي

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص100.

² نفسه. ص147.

³ نفسه. ص99.

كثور الأساطيل

أزني بكل الحكومات

لكن بعشق

بعشق

بعشق

سألقي الشوارع بعد الزنا"¹

ومن "شدة قهره يريد أن يضاجعهم جميعاً ليجعل منهم حكاماً مثقوبين".²

فقد يبدو للقارئ أنّ الشاعر مارس البغاء/ الجنس، وكأنّه يحكي قصته من خلال أشعاره للقراء،

إذ له أسطر شعرية ليست بقليلة تنساب في حقول اللذة، يتكلم فيها بضمير الأنثى، في صور

عديدة، مثل قوله هذا:

"أعرف أنّ هناك لاقطة

زرعتها أجهزة اللقط

لذاك نرعت ثيابي

وتعريت على باب الدنيا

هذا جسدي الموشوم بكلّ الشهوات

وأخبار الغزو الليلي

مارستُ جميع الأفعال السرية

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص330.

² الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص34.

أعلنت ممارستي بالقلم السري"¹

إذ تظهر هذه الأسطر وجود علاقة حميمة سرية بين الشاعر وقلمه، تشبه بعنفوانها علاقة الجسد بالجسد الآخر.

أو أن يكون الشاعر الإناء لنهدي فتاة تقطر حليب اللوز وتشعره بالدفء ليلاً، بقوله:

" وشجيرات البر

تفيح بدفء مراهقة بدوية

يكتظ حليب اللوز

ويقطر من نهديها في الليل

وأنا تحت النهدين

إناء"²

ففي قصيدة من "الدفتر شديد الخصوص للأمام المغنين" يسيطر على النواب رغبة جامحة في لحظة مشتعلة من التخيل الشعري المشحون بالعاطفة الجنسية، ويظهر أكثره في الربع الأول من القصيدة.

ويرسم النواب النهدين والفخذين/الأرداف كعنصرين جنسيين يشكلان الأنوثة بالنسبة للشاعر، فهو-أي النواب- يذكرها في مقاطع عديدة، لكن بصورة أقرب إلى العذرية، إذ لم يتجاوز ذلك الغزل الحسي المكشوف؛ لأنه إنسان صاحب قضية وطنية قومية، ووصفه كان من دون تجربة حسية، وخير دليل على ذلك اعترافه بالمقطع الآتي، حيث يقول فيه:

"وأوسدُ فخذ امرأة عارية

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 239-240.

² نفسه. ص 105.

بئران من السبق الأسود

والسكر بعينها الباردين

وجمرة ريا تقطر نوماً وردياً

وتهرب كالعطر وأمسكها

فتذوب بكفيّ وأدس أنفي بين النهدين

يضحكان علياً

لماذا؟ من هي؟

لا أعرف"1

جاءت هذه الأشعار في الحركة الثانية من الوتريات، حيث اختلطت أحاسيس الشاعر بين السياسة التاريخية (الصراع الأموي والعلوي) والسياسة الواقعية (حكام اليوم)، إذ تداخل فيه أيضاً، حوار الصوفي مع الله، ثم جاء ذكره لهذا المقطع الذي يتوسط الربع الأخير من الوترية، فالسؤالين الأخيرين في نهايته، تحيلهما الباحثة إلى أنّ النواب لم يعيش تجربة مع امرأة بغيّة؛ كونه لا يعرف هذه المرأة العارية التي لم تكن إلا زورقاً مؤنساً لعبوره من الوحشة والغربة.

خلاصة الجنس في أشعار النواب بين المقدّس والمدنّس

عالج النواب قضية الجنس في أشعاره من بعدين: بعد سلبي يمثله صورة الحكام العرب، حيث يتجسد ذلك بالشرخ الإنساني بين الحكومات العربية وزعمائها وبين الشعب الذي يمثله الشاعر الراض لهذا الواقع، أما البعد الإيجابي الذي يتمثل بصورة ما يحصل في الطبيعة من تكاثر، وذلك من خلال رسم لوحات طبيعية، أضاف خيال الشاعر عليها الحس ولفت الانتباه لإبداع خلق الكون.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص120.

إذ لم يأت على ذكرها لإثارة الرغبة الجنسية للمتلقي وإفساده ونشر الرذيلة، وإنما كانت وصلة لجأ إليها؛ ليبدأ قصائده بها، أو ليقدمها في العرض لإضفاء الحس لأشعاره، أو لربما أكثر منها؛ ليريح جسده من شحنات الواقع المؤذية له، كونه ربط الجنس في أكثر مواضعه بالثورة.

فالجنس لدى النواب غير محصور في إطار المقبول والممنوع عرفياً واجتماعياً، وإنما يأخذ بعداً آخرًا بجعله وسيلة أدبية لطرح فكره السياسي، ولكن ليس لغاية جنسية جسدية، إذ تمثل استراحة جمالية تأملية له من المحيط، وكذلك لإراحة المتلقي من عناء الاحتدام السياسي في نصه.

فأشعاره لم تخدش حياء الفكر عند القارئ على الرغم من خلخلة التابو الشخصي للمتلقي في بعض الأسطر ذكرتها الباحثة سابقاً.

أما عن ذكره ممارسته لقضية الجنس جاءت في وقفات شعرية ليست قليلة، إذ لم تأت عفو الخاطر، بل كتبت بصورة منظمة بعد أو قبل حديثه عن ممارسة الحكام العرب البغاء. فهو لم يدخل محيط المذنب حتى لو ذكر عن نفسه ذلك بل أبقى ذاته المقدسة حذرة من الاختلاط بالمدنس.

رابعاً: خمريات النواب بين المقدس والمدنس

الخمير عند النواب الليل وقتها، في الوحدة والغربة والمنافي، يأتي على ذكرها في أشعاره الصوفية وأثناء حديثه عن المرأة، إذ ربطها بالحزن وصمت القلب ووحدته والاعتراب عن الذات والوطن، فهل تكن الخمير لدى الشاعر تعويضاً عن الواقع السياسي المأزوم؟

وهل الخمير واحدٌ عند النواب أم له أنواع، وهل كل نوع منها مرتبط بموقف ما؟.

فهو يقول في معنى الخمير: "أني صبُّ/ أسمى كل ما يسلبُ لُبِّي/ خمرة"¹، فهذا المعنى للخمر، جعلها لفظ مطاطي الدلالات والأبعاد، إذ يحمل في طياته بعداً مادياً (وهي الخمير الحقيقية) وبعداً

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص414.

ثانياً معنوياً (خمر الحب الإلهي)، وتارةً بعداً ثالثاً نفسياً ذاتياً (خمرة الحزن والوحدة والغربة والتهيه). وستقف الباحثة عند نوعي الخمر عند النواب: المادية والمعنوية.

1. الخمر المادية

فيقول في الخمر المادية الحقيقية:

"أيها الشارب

إن لم تكن شفافاً رقيقاً

كزجاج الكأس

لا تدخل طقوس السكر

والكينونة الكبرى

فسوء الخمر يؤدي

بينما يقتل سوء الخلق

فاشربها كريماً دمثاً

تطمع أن النار تستثني الكراما"¹

فالعذوبة واللين في هذه الأسطر توضح ماذا تعني الخمر المادية للشاعر، فإذا التزم المرء بقوانينها أخذته إلى خمر "الكينونة الكبرى" حيث الوجود والوعي والمعرفة وذاته المدركة.

إذ أشار الشاعر إلى طقوس الشرب، مبيناً مؤهلات شارب الخمر، بأن يكون كريماً ليناً سهلاً، وأن تحفظ في أوعية (كؤوس) تكون شفافة نظيفة، هذه الصفات توافق اسم الخمر "اللينية"². فمن

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 405.

² المقري، علي: "الخمر والنبذ في الإسلام". رياض الريس للنشر. ص 21.

كان لثيماً بخيلاً غليظاً ليس أهلاً لشربها، مبرراً شربه على الرغم من إيذائها له، أنه يتخلص من سوء أخلاق بعض الناس، فهو بين خيارين أحلاهما مر، ففضّل إيذاء الخمر على أن يقتل بسوء الخلق.

فالشاعر أقرن الكرم وحسن الخلق والنزاهة والوضوح بالخمر المذنب، فصارت الشراب المقدس عنده حتى اتخذ منها ملجأً يحميه من سواد الغربية ووحشة المجتمع العربي والغربي، فالمألوف أنّ الخمر مشروب محرم؛ لتغيبها عقل شاربها، فيتمكن منه القتل أو السرقة أو فعل البغاء، لكنها في نظر الشاعر تزيد المرء شهامةً وجوداً وخلقاً.

ويندرج من الخمر المادية (خمرة المنفى والغربة)، فالنواب عاش وحيداً في المنافي، ولم يجد من يفهم همه وألمه؛ فاتخذ من الخمر وسيلة لإزالة الحزن الدائم عن روحه، فما كان منه إلا اللجوء إلى نفسه والخمر، فهو يردُّ على من عاب عليه سكره واتهمه به، فيقول:

"يقولون تسكر/ قلت بخمري"¹.

فيداوي بها الحزن والهم، مصرحاً بهذا، بقوله:

"غسلت عيوني بالجة الذهبية

كي يترنح الحزن

وحطمت على أرصفة الغربية كأسي"²

ويقول أيضاً:

"أغسل حنجرتي بالنبيذ

ففي القلب

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص112.

² نفسه. ص233.

حزن جبان وحزن جريء¹

إذ لم تكن الخمر وسيلة لتبديد الأحزان فحسب، وإنما أداة لجمع شتائه المتناثر بين المنافي،
فيقول:

"وكأس له شفتان إضافيتان

تلمُّ شتائي

وتثبت سكري

بهذا الطريق

أحب الطريق

وتزعجني باب خمارة أغلقت²

فالخمر عنده لها مكانة في ذاته، فيقول: "ما دام هنالك ليل ذئب/ فالخمر مأواي"³ حيث هي مأواه
من ليل أعدائه الشرس.

لكنَّ النواب استطاع من خلال ثقافته الشعرية أن يجعل للخمر أنساباً وأصولاً، فيقول:

"قد شغلنا ليلة بالكأس

والآخري بأخت الكأس

والكاسات

إن صحَّ الذي يسقيك إياها

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 508.

² نفسه. ص 360.

³ نفسه. ص 129.

لها أنساب¹

فقد يكون ساقبها شخصاً بعينه، وقد يكون شيئاً معنوياً وهي (الغربة ومرارتها)، فرسم لها المقامات العلية ليدلل على قداسة هذا الشراب عنده، فلا يشربها إلا من أتقن مكانتها، بقوله:

"أفدى خفيك/من يشرب خمراً/ وهو لا يعرف للخمر مقاماً"²، فمن لا يدرك قيمتها يستحق أن يُقدّم قرباناً فداءً لله.

وتعددت عند النواب أنواع الخمر وتتنوعت، فالخمر المقدس هو كل شيء وصف بالحسن والجمال، أو ما كان ماءً صافياً زلالاً لا شائب فيه، وتكون الخمر حزاماً ناسفاً ثورياً، أو بيت شعر يُغنى ويُنشدُ فيُسكّرُ، أو مداماً، إذ جاء على ذكر الخمر الحقيقية (المادية) آخر تعداده، عندما قال:

"أسمي كل ما يسلب لبي"

خمرة

إن كان حسناً

أو قراح الماء

في كفّ كريم

أو حزاماً ناسفاً

أو بيت شعرٍ

أو مداماً"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 265.

² نفسه. ص 404.

³ نفسه. ص 414.

وكانها أقل أهمية لدى النواب من أنواع الخمر المقدس (الحسن/الأخلاق والحزام/الثورة والشعر)، فهذه الثلاثة الأخيرة تأثيرها أكثر فاعلية في نفس الشاعر وعلى قلمه.

وفي موطن آخر يبين أن أجود الخمر وأقواها هي الرديئة، حيث يقول:

"ويربكني أن أقوى الخمر الرديء"¹

فالخمر لها دفق واسع في أشعاره، فقصائد عديدة جاء حديثها عن الخمر المقدس كموضوع أساس، ويظهر ذلك من عتبة العنوان في قصيدتي "الندامي" و"الحانة القديمة" ف"العلاقة بين العنوان والنص تنتقل من المستوى السطحي، أي الحضور اللفظي والدلالي للعنوان في النص، إلى المستوي التكويني"² فيه، بذكر مكان الخمر حيث هو قريب، فيقول: "مشرب ليس بعيداً"³، ثم شرح فعل الخمر بجسده، إذ تجعل المرء مهتماً بروحه، ثم تدفئ ساقيه الباردين، إذ يخاطب ذاتاً من نسج خياله، إن لم يكن يتحدث عن نفسه، حيث تجتمع فيها الخمر واللغة العربية والدنيا في قلب هذا المحبّ المخمور، فكأس الخمر يوازن بين العشق وحبّ الرمان.

وفي قصائد أخرى كانت الخمر هي المركز، لكنّ النواب تتطرق إلى موضوع سياسي آخر أثناء الحديث عنها، فمثلاً في قصيدة "زنزانتة وما هم ولكنه العشق" يأتي على ذكر تجلياته الخمرية وصحبته بين الغفو والصحو من أثرها، مشيراً إلى الكرمة كمصدر للخمرة، فدمعه وأمسه ينساب منها حتى طينته — شكلته — فصار شعراً بقوله هذا:

"ما لها الكرمة لا تعرفني

أمس رقرقت لها خمرتها

وأنا اليوم على خمرتها

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص508.

² خالد حسين: "شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل". دار التكوين. ط1. 2008. ص90.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص495.

ودمعي وأمسي رقرقا¹

ثم تتطرق إلى طرده من وطنه، والتهيه في الغربة الخرقاء، حيث يصرخ فيها من ألم الفقد.

2. الخمر المعنوية (خمر الحب الإلهي):

أما عن خمرة النواب الصوفية التي يتجرعها في حب الله، يقول:

"رب سامحهم وإن لم يسكروا

كيف يشتاقي إلى خمرة جناتك

من لا يعرف الخمر

ويشتاق صباياها

إذ كان هنا ما عشقا؟

هائم

لم أدر ماذا أسرَّ الشوق

وماذا أعنقا²

فصوفية الشاعر تظهر في هذا المقطع جلياً، فالاشتياق الإلهي العلني ظاهر هنا، ولسكره الصوفي ثلاث علامات، الأولى: الانزعاج والضيق من الصحب؛ لأنهم لم يسكروا بحب الله، والثانية: الصبر الهائم، والثالثة: الاشتياق إلى اللقاء حيث البقاء والنعيم الأبدي ثمرة هذا الحب، فالخمر هنا سكر معنوي بدليل لفظ يعرف، فلم يقل الشاعر يجرب، فالمعرفة ليس ضرورياً الحصول عليها بالتجربة، وإنما بإدراك الحواس لها، وبالتالي تصبُّ هذه الأسطر في مقام الخمر الصوفية.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 388.

² نفسه. ص 378.

ويقول في مقطع آخر:

"غمز الصاحون أنني ثمل

ما كذبوا

جئنتي من لبة القلب

أنا مضطرب

لم أعد أبصر غير تعدادك يا واحد

يا كل لهذا أشرب"¹

تلاحظ الباحثة الألفاظ الصوفية المتتالية: لبة القلب، مضطرب، لم أعد أبصر، تعدادك، يا واحد، يا كل، فهذه الألفاظ تظهر الاختلاف بين سكر النواب و الآخرين، إذ هو ثمل بشيء يختلف عما يثمل به غيره، فعقله صاحٍ بينما قلبه مضطرب، فسبب الثمل هنا معنوي وليس مادي، ألا وهو شدة الوجد الإلهي، ويظهر في المقطع استخدام الشاعر لحاستي: البصر من خلال الفعلين (غمز، أبصر) واسم الفاعل (الصاحون)، وكذلك حاسة التذوق من خلال الفعل (أشرب)، والاسم (ثمل)، إذ بذلك يستطيع أن ينقل إحساسه الصادق عن طريق حواسه للتعبير عن انفعاله إزاء خمره بمحيط الكون، مما يؤثر على المتلقي نفسياً مستشعراً صوفياً النواب ومتمتعاً بأدبه.

ويميز الشاعر بين سكره والآخرين، فمسكره حبه الإلهي الأسمى من الخمر المادية التي يسكر بها غيره، حيث يقول:

"ما لبعض الناس

يرميني بسكري

في هواك

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 491.

وهو سكران "1.

فخمرة حبه الصوفي مميزة عن أي خمرة أخرى، إذ تتصف بالتفرد والعظمة والجمال فيقول في صفاتها موضعاً قداستها:

"واسأل العشاق

هناك كأس

لم يذقها شارب

في هذه الدنيا

موشاة بحبات الندى

سلطانها سلطان

إنها جسر الدجى للمعبر السري

لم يكن إيوان كسرى

مثما إيوانها إيوان

إن كأس الله هذي مسكها ريان"2

فكأس الخمر

فكأس الخمر الصوفي المقدس له صفات، وهي: لا يعرف لها مذاق وكأنها خمر الجنة، ومزخرفة بماء المطر، لها القوة والنفوذ والسيطرة، فتكن لها السيادة بأن تجعل شاربها قادراً

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص492.

² نفسه. ص268.

على العبور إلى الروحانيات السريّة الليلية، والنواب بذلك يجعل الخمر الصوفي المقدس مفتاح
للانتقال إلى القدوس الأعلى.

والسكر المعنوي الصوفي يشعر النواب بالحريّة والانطلاق، كأنه أسير فك من قيده أو طائر
استرد جناحيه بعدما سلبت منه؛ ليخلق في أسرار الكون.

ففي الخمر الصوفي يكن "الشراب: هو نور الله الساطع عن جمال المحبوب، والكأس: هو
اللفظ الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقى: هو المتولي المخصوص الأكبر وهو الله."¹
فلنتأمل هذا المقطع الشعري الذي يجمع فيه النواب بين الخمر المادية والمعنوية الصوفية،
فيقول:

"أملأها علناً يا مولاي

فما أخرج من حانتك الكبرى

إلا منطفاً سكران

أصغر شيء يسكرني

في الخلق

فكيف الإنسان"²

يشير الشاعر إلى صوفيته في استغراقه الكلي مع الله، من خلال تجلياته في أصغر شيء خلقه
الله، لذلك يسكر، رابطاً بين مشاهداته الكونية والخمر، فالشاعر لا يطرق باب الحانة الصغرى
(الخمر المادية) لأنه دائم الوجود في الحانة الكبرى حيث الطبيعة والكون والمشاهدات والكشف.

¹ صادق، صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً ص 554.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب ص 500.

فالشاعر لا يستطع التوبة عن الخمر، فهي معه دوماً، مادام يعاني الواقع السياسي، إذ يطرح الشاعر المبرر لذلك، من خلال تساؤلاته الفلسفية التي يثبت من خلالها منطق شربه للخمر، حيث يقول:

"كيف تعاتبني

فأتوب

هل تاب النورس

من ثقل جناحيه المكسورين

هل تاب الطيب الفاغم

في رفع امرأة خاطئة

فأتوب

هل تاب الخالق

من خمر الخلق

ومسح كفيه الخالقتين

لكل الأوزار الحلوة في الأرض

فتلك ذنوب"¹

فباقر ياسين جاء على وجود نصوص بشعة رديئة، حملت ألفاظاً وعبارات ضعيفة ومنها هذه اللوحة، إذا يقول فيها النواب:

"سيدتي نحن بغايا مثلك يزنى القهر بنا

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب ص129.

والدين الكاذب والفكر الكاذب والخبز الكاذب

والأشعار ولون الدم يزور حتى في التآبين رمادياً ويوافق كل الشعب أو

الشعب وليس الحاكم الأعور

سيدتي كيف يكون الإنسان شريفاً؟

وجهاز الأمن يمدُّ يده بكل مكان والقادم أخطر

ونوضع في عسارة كي يخرج منا النفط

نخبك نخبك سيدتي لم يتلوث منك سوى اللحم الفاني

فالبعض يبيع اليابس والأخضر

ويدافع عن كل قضايا الكون

ويهرب من وجه قضيته

سأبول عليه وأسكر

ثم أبول عليه وأسكر ثم تبولين عليهم ونسكر"¹

لكن هذا الضعف الذي أشار إليه الأخير أنّ موضوع النواب لا يحتاج إلى مثل هذه الألفاظ، تكمن فيه القوة والمتانة الفكرية، خصوصاً أسلوب التهكم المرفق في هذه اللوحة، فالسكر والبول أمران مجتمعان واقعياً، وجاء على ذكر البول بعد السكر لما في أشعاره من قضية خطيرة، تستحق لفظاً كهذا من شاعر هجائي ثوري، وهي كما يقول: "نوضع في العسارة كي يخرج منا النفط"، وفيها فناء البشرية بفعل الحكام وطمعهم النفطي والهرب من قضيتهم.

¹ ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص196.

إذ استعرضنا قصائد النواب جميعها، فسوف نرى عدم خلوها من التوجه نحو الخمر/الشراب المقدس بنوعيه (المادي/الصوفي) في لحظات الحنين إلى الوطن، والرفاق، وشطحات الروح الصوفية، ويكثر ذكرها في المقاطع الشعرية التي تدور حول مشاعر إنسانية بين تأمل الطبيعة والتحسر على الوطن، فهي تعدُّ مصدراً أساسياً في انبعاث الثورة النوايية الشعرية، التي رافقته على الحلوة والمرارة كما يقال.

الفصل الثاني
المقدّس والمدنّس
بين التصور والتآلف والاختلاف

الفصل الثاني

المقدّس والمدنّس بين التصور والتألف والاختلاف

أولاً: مسوغات استخدام المقدّس والمدنّس

قبل اللوج في الحديث عن أسباب لجوء النواب إلى استخدام جدلية المقدّس والمدنّس، علينا الإلمام بكل المفاهيم التي تندرج تحت المقدّس وكذلك المدنّس.

فالمقدّس هو المحرم الممنوع المحظور الطهور/ الطاهر وعالمه علويّ، أما المدنّس فهو المباح الرجس النجس الجُنْبُ والمشترك اللفظي بينها هي القذارة بـ"اللفظ أو الفعل"¹، وعالمه الدنيوي، ويندرج تحتها لفظ اللعنة والكفر والقبح.

فكلمة المقدّس والتقديس والقداسة ومشتقاتها وردت كفعل أكثر منها كاسم في الأعمال الكاملة، في حين أن المعاني التي يحملها البعد الدلالي والإيحائي لهذا اللفظ ذكرت بكثرة (طاهرة/ مطهرة، نظيف/ة، البركة/ مبارك).

المقدّس العام عند الشاعر هو الثورة/ المقدّس العملي الفعلي، فلفظ الثورة طاغ في أشعار النواب كلها، حتى أصبحت الحلوى والأغنية وحديث الزوجة في نظر النواب، وثورة الوعي بالتحديد، هي الفكرة الرئيسية التي تتمحور حولها أشعاره، وهذا ما سنتبته الباحثة من تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس لـ "تغيير وعي المتلقي وتحريره من القيود الجمالية والتاريخية والفكرية"²، فهو قدّس الإنسان الفقير/ الشعب/ ووطنه ودينّس حاكمه/ وحكومته/ وسلطته.

فلماذا توجه الشاعر إلى المقدّس الشخصي سواء أكان حيّاً أم ميتاً في خطابه لهم؟

وماذا مثلت الأماكن المقدّسة والمدنّسة على حد سواء له؟

وما هي أكثر صور المقدّس والمدنّس وضوحاً وذكرًا عنده؟ وهل قوّمت أشعاره المدنّس؟

¹ إبراهيم، أنيس وأخرون: "المعجم الوسيط". ط2. القاهرة: دار المعارف. ص755.

² صبح، راند: "تقديس المدنّس في الشعر العربي المعاصر". ط1. المغرب: المركز الثقافي للكتاب. 2017. ص164.

إذ لجأ النواب إلى اتخاذ تقديس المدنس وتدنيس المقدس لمسوغات تعبيرية أدبية وكذلك سياسية واجتماعية وهي على النحو الآتي:

1. جاء على تقديس الفقير الواعي المعدم/ المدنس؛ لأنهم-أي جميع صور المقدس الشخصي- تخلصوا من الخطيئة في نظره، من التبعية للغرب، والخيانة، وسرقة الموارد، وسرقة الثورة، فأبقى النواب أسماءهم وفعلهم الثوري مخلداً في ذاكرة الوعي الجمعي.

2. و "لأنَّ الإنسان في بحث دائم عن طريقة جديدة للتعبير أو التغيير كلما تجددت الحياة وتطورت"¹، اغتنم الشاعر المقدس والمدنس كمتنافس له من واقعه البغيض الدامي.

وقوله الآتي دليل على تقديس المدنس وتدنيس المقدس، لأجل التغيير، حيث يقول:

"بكى طائر العمر في قفصي

مذ رأى مخلب الموت

ينزل في صحبه ويكفُّ الغناء

فأنبته أن يصدح كي يسكُر القفص الدنيوي

فإنَّ انفلاتاً من الشرط بدءاً لفكِّ الشرط"²

وهذا ما جعل "تجربة النواب مقابل التغيير الاجتماعي للثورة العربية المسحوقة في لغته وأسلوبه ورفضه وثورته وفهمه للتراث"³.

فقوة هذه الجدلية تكمن في الأفكار التي ساقها النواب: أن الكون يعيش في انحطاط آدمي وفساد حضاري عقيم، يريد إصلاحه بالكلمة الشعرية وعوده الغنائي الصادق.

¹ إسماعيل، عز الدين: "الأدب وفنونه: دراسة ونقد". ص84.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص209.

³ الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص18.

1. حرصُ الشاعر العربي على الاستقرار الكافي للذات وحوائجها، لكنَّ النواب يبين أنَّ الحياة الكونية مبنية على وجود قوتين متضاربتين في أشعاره، محددًا صفات كل منهما، إذ يقول في الأولى:

"سيقوم من الجرح أكثر عافية

وطني، بجراحاته النازفة

دفنوه عميقاً

فقام الترابُ به، إذ يتململ

فالقوتان هي القوة الخائفة

صرت شوقاً مخيفاً

من لكثرة ما اشتقت يا وطني

فالقوتان هي القوة الخائفة"¹

القوة الأولى، هي قوة الخوف الذي سيصنع منها النواب القوة الثانية الضاربة، إذ أقرن قوة الخوف بالشوق للوطن الذي يخلفُ خوفاً من المجهول يبعده عنه في الغربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، جعل النواب من مصدر هذه القوة دافعاً لمعاقبة الدم العربي المهزوم أمام فلسطين وواجبها، عندما قال:

"أيها الدم العربي

لماذا هُزمت؟

وواجبك العسكري فلسطين

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص370.

أنت أجب أيها الدم¹

ويقول في القوة الثانية:

يا أجمل أمة غاضبة

امسحيهم

فهم حاكمون بغايا بأفواههم

والشريف الشريف شهامته سالبة

اركليهم

فأقدارهم يُركلون

وأقدارنا القوة الضاربة²

فقوة الخوف مرتبطة بالخربة ودينسها، لكنه يربط القوة الثانية الضاربة الساحقة لبغاء الحكام بالمقدّس الثوري، وجلّ قصيدة أساطيل خير مثال على القوة الثانية.

إذ تلاحظ الباحثة أنّ النواب ربط القوة الأولى بمشاعره وأحاسيسه حاملاً ضعفاً في طياتها، بينما ربط القوة الثانية بفعلي الأمر (امسحيهم / اركليهم)، وكذلك بالإضافة للاسم الفاعل (الضاربة)، أضف إلى ذلك ربطه إياها بالقدر³، فالنواب يحمل من الحنكة الشعرية ما يقدمه أو يأخره من الألفاظ، وكأنه يقول لنا: العبرة في الخواتيم وليس في البدايات، إذ قدم أقدار الحكام في البداية وجعل قدر الشعب-أي الأمة الغاضبة-هو القدر المحتوم النهائي الغالب.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص371.

² نفسه. ص379.

³ أنظر تعريف القدر: ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة". ج5. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. ص62.

من هاتين القوتين، نستدلُّ على وجود طرفين بينهما تنافر كوني لا تجاذب فيه البتة، كما يذكرها النواب في ديوانه، هما:

الطرف الأول: المقدّس (الأمة العربية-الوطن/ الشعب وبالأخص الفقراء/ المرء الصالح المستقيم/ الثورة والتخريب الصالح/ الأرض المباركة/ الحجر والكوفية/ الجرح والدم/ والألم/ الروح المقدّسة).

الطرف الثاني: المدنّس (الحكام والساسة من العرب وغير العرب/ المرء الفاسد المنحرف/ اتباع الغرب/ الخيانة/ القتل/ الغربة).

فيقول النواب: أنّ هذه الجدلية بين الطرفين (المقدّس والمدنّس) هي انهيار واضطراب وليس صراعاً، فالاضطراب سببٌ مباشرٌ للتحطم والانهيار باختلال طرف أمام الآخر، وبالتالي النتيجة الحتمية، الصراع الدائم لمن ستكون الغلبة؟

إذ أبدى النواب تأكيده المتكرر للسبب ولم يعترف بالنتيجة النهائية، لأنه مؤمن بسنة الاختلاف في المنظومة الكونيّة. فيقول:

"ألا أيها الرب

هذا اضطراب

وليس صراعاً

وهذا دخول على الطائفية والجاهلية والبربرية"¹

ويقول أيضاً: " هذا انهيار عظيم/ وليس صراعاً"²

¹ النواب، مظفر: " الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص324.

² نفسه. ص325.

فالنواب أشار إلى طرفي الجدلية (المقدس والمدنس) خوف الاختلاط بينهما المبهم لهوية الطرفين، وحتى يصل إلى الاستقرار الاجتماعي العربي.

قائلاً في "قصيدة من بيروت":

أوقدوا للسفنية"

كل الشموع الصبا

لنرى ما صنعناه

حين المصابيح غاب

ونفحص أنفسنا

نفحص الناس

نفحص كل الحروب

فإن اختلاط الضحايا مع القاتلين

مصاب"1.

2. وقد لجأ إلى استخدامها، نتيجة قلق وحزن دفين دائم في نفسه، وتغذية الواقع السياسي المعاش لهذا القلق، الذي نضج من طياته أشعاره الهجائية. فتكون الجدلية وسيلة دفاع روحية عن فكر النواب الأيديولوجي والأدبي. إذ أضفى استخدامه لها فائدة جمالية وأخرى معنوية في أشعاره.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص349.

ثانياً: المقدّس وصوره

1. المقدّس الشخصي

يحمل معنى المقدّس لغةً المعظم والمنزه عن العيوب والنقائص، وكذلك ممّن تمثلت بهم تاريخياً في الحضارات القديمة من الملوك والسادة والكهنة المقدّسين، حتى أله بعضهم، أضف إلى ذلك الأبطال التي نسجت حولهم الأساطير، إذ غدوا رموزاً مقدّسة تؤخذ من أضرحتهم وقبابهم اليمن والبركة.

ف" الشعوب في تكويناتها الداخلية بحاجة إلى أفراد/ أبطال تمنحهم امتيازات خارقة، وتجعلهم أبطالاً فوق العادة لأسباب نفسية دينية وعسكرية".¹

إذ جاء النواب على واقعه السياسي الدامي في البلدان العربية، أخذاً من أشعاره وسيلة لتوثيق الشواهد التاريخية المعزة للعروبة والمذلة لحكامهم، فهذا الواقع واضح في أشعاره، فالنواب امتلاك قدرة على "تجاوز الممنوع، الممنوع الذي وافق يوماً على أنه ممنوع، فمهمة الإبداع الأساسية تحطيم قوانين الأمس، بالبوح".²

فذكر النواب أبطالاً حربيين جعل منهم رموزاً، حفرت أسماءهم في التاريخ، وخلّدت في الذاكرة العربية، فيعرفُ البطل في المعاجم العربية، أنه: "رجلٌ بين البطالة والبطولة-أي شجاع تبطل جراحه، فلا يكثرث لها، وقيل سُميَ بطلاً؛ لأنَّ الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران، فلا يدرك لها ثأر".³

بيدَ أنّ البطولة عند النواب اتخذت معنى مغايراً مخالفاً لرؤية "علي الجندي"⁴ في تعريفه للبطولة، فهي عند النواب: "الجرأة والتضحية واتخاذ موقف فكريّ وسياسيّ يصبح رمزاً لقوة الشعب

¹ السالم، واردة بدر: تحولات صورة "البطل" في تاريخ الأدب والفن والأسطورة". مجلة العرب. لندن: العدد /11384.21-2019-6. <https://tinyurl.com/yjbsceuo>.

² السيد خلف، عريان: مداخلة من ندوة عراقية في بيتنا الثقافي.

³ ابن منظور: "لسان العرب". ج11، بيروت: دار صادر. ص56.

⁴ أنظر: الجندي، علي: "شعر الحرب في العصر الجاهلي". ط3. بيروت: مكتبة الجامعة العربية. 1966. ص90.

ومجده، وبالتالي الانصرام في اللامألوف، حتى يصبح البطل حالة نوعية¹ خارقة، ومن تلافيف هذا التعريف، تجد الباحثة رؤية النواب للبطل أنه: شخص من عامة الناس التمس واقعه المرير، لاجئاً إلى الفعل الثوري الحثيث الخارق للعادة حتى صار رمزاً، فليس كل الأبطال الذين ذكرهم النواب في أشعاره دخلوا هالة المقدس، ومن هنا تطرح الباحثة سؤالين،

أ. هل غالاً النواب أو تجاوز التابو الديني في تقديسه لهم؟ وما صور ذلك؟

ب. وهل توسل النواب بذات الأحياء أو الأموات لطلب حاجة أو دعاء ما؟

فالمراد بتقديس الشخص "رفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، معتقداً أن له من القداسة الذاتية، أو المكتسبة، ما يستوجب الخضوع له والإذعان لأوامره"².

وقد يكون التقديس الشخصي عند الشاعر أنه: "كل غلو في الأشخاص من حيث الاعتقاد أو القول أو العمل"³. إذ ركز الشاعر في تقديسهم على الاعتقاد والعمل لا على القول.

أولاً: علي بن أبي طالب والحسن والحسين

بعيداً عن الأيدولوجيا الفكرية الشيعية التي ينتمي إليها النواب، فهو شيعي من بيت أصلت فيه الطقوس الشيعية والاحتفاء بعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين -رضي الله عنهم، فغُرِسَتْ "مشاهد المواكب الدينية في عاشوراء"⁴ في ذاكرته الأبدية.

فيأتي على ذكر علي -رضي الله عنه- في أشعاره كثيراً، مركزاً على استحضاره بين الفينة والأخرى، خصوصاً أثناء حديثه عن المعارك العلوية الأموية بخصوص السلطة، فيقول متسائلاً:

ماذا يقدح في الغيب الأزلي

أطلوا

¹ ياسين باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص 110.

² لوح، محمد: "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي". ط1. الدمام: دار ابن عفان. 2002. ص45.

³ الشيعي، موسى: رسالة بعنوان: "تقديس الأشخاص عند النصاري وآثاره". السعودية: جامعة أم القرى. 2008. ص87.

⁴ ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص17.

أسيفُ عليّ

قتلنا الردة يا مولاي

كما قتلك بجرح في الغرة"¹

يبينُ النواب كيف ارتدَّت الجموع على عليّ، وأخذوا ضدّه حتى قتلوه، فيشكو له حاله وحال واقعه المنكوس، منادياً عليه "يا مولاي"، ويظهر أنّ الردّة خيانةٌ، ووجه الشبه بينهما: أنّ ردة الجموع قتلت عليّ، وردة الحكام وسطوهم قتلت الشاعر وشعبه. ونداؤه مولاي يحمل صراحة، أنّ النواب "متوالٍ لعليّ وأهل بيته، معاهداً"² لبيعته في الخلافة.

ويقول في موطن آخر عن عليّ، طارحة الباحثة سؤالاً من خلال هذه الأسطر الشعرية، لماذا توجه النواب لعليّ وبنيه -رضي الله عنهم؟ إذ يقول فيه:

"يا ملك الثوار

أنا أبكي بالقلب لأنّ الثورة يزني بها"³

فنعت عليّ بصفة أخرى تمثل مكانته وعظمة دستورهِ الفكري في قلب النواب، عندما قال "ملك الثوار" أخذاً منه ملجأً لشكو الحال، فالملك هو: "صاحب الأمر والسلطة على أمة أو قبيلة أو بلاد"⁴، ومنه نجد إضافة الكلمة إلى الثوار أضفت فخامة لغوية، "ثورة الحسين رسمت لكل ثوار العالم مفهوم (الثورة)"⁵، حيث توجه إليه محاوراً إياه أن تعود الأمة إلى رشدها، فالمقدس الفعلي/ الثورة صار مدنساً بفعل الزنى الذي اقترفه الحكام العرب بحق شعوبهم.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص117.

² أنظر: أنيس، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط". ص 1101.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص124.

⁴ أنيس، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط". ص924.

⁵ نوري، عبد الجبار: مقالة بعنوان "مدرسة الحسين ومفهوم الثورة". موقع الحزب الشيوعي العراقي.

الأثنين، 27/1/2014. <https://tinyurl.com/yfua5s99>

ويقول أيضاً في علي، جاعلاً منه نبياً يعلو مقاماً فوق مقام محمد نبي الأمة الإسلامية وشفيعها،
إذ يقول:

"أنا أنتمي للمسيح المجذف فوق الصليب

وقد جرح الخُلُّ وجه الإله على رنتيه

وظلَّ به أمل ويقاقل

لمحمد شرط الدخول إلى مكة

لعلي بغير شروط

أنا أنتمي للقداء

لرأس الحسين"¹

فالمسيح جاء يبشر بمحمد-صلى الله عليه وسلم؛ لنشر رسالته السماوية في مكة بعد إعلان القتال، ولكن علي كما يقول النواب سيدخل مكة -آخذاً الخلافة- من دون قتال، وهنا قلب النواب شيئاً من الواقع المعروف/المقدس التاريخي لصالح علي-رضي الله عنه، فالمعروف إسلامياً أن النبي محمد دخل مكة من دون قتال في السنة 8 هـ، لكنه نسب هذا الحدث المبارك لعلي.

ومن بعد هذا تجد الباحثة جواباً للسؤال الآتي: كيف جعل النواب علياً رضي الله عنه مقدساً؟

إذ يقول فيه:

"للخط الكوفي يتم صلاة الصبح

بإفريز جوامعها

لشوارعها

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص127.

للصبر

لعلي يتوضأ بالسيف قبيل الفجر

أنبيك علياً! ¹

وفي هذه الأسطر ما يؤكد عقيدة النواب تجاه علي وأبنائه، إذ يطلب النواب أن تكون صلاة الصبح للكوفة قائدها وخطها وشوارعها ومساجدها وصبرها، فلم الصبح والخط الكوفي وشوارع وجوامع الكوفة بالتحديد؟

فمن المؤلف تاريخياً أن الكوفة كانت عاصمة الخلافة الإسلامية زمن خلافة علي -رضي الله عنه- إذ يبين النواب مدى قداسة المكان وخليفته بطلبه توجيه صلاة الصبح للكوفة، وذلك ليتضاعف الأجر بصلاتهم الصبح فهي أفضل الصلوات الخمس، وليزيد الثواب للأنصار علي كونهم أقاموا صلاة الصبح في مكان مقدس، ومن ثم الصلاة مجازاً لخطها؛ كونه يعتر من أوائل الخطوط العربية القديمة الأكثر استخداماً في المراسلات والتدوين، وكذلك إتمام صلاة الصبح لصبرها على احتدام الخلاف السياسي فيها، ولخليفتها علي رأس الحربة وملك ثوراها.

أما عن أشعاره في سبطي رسول الله (الحسن والحسين) فيه الكثرة، والحسين على وجه الخصوص، فكثير من الناس يعتقد أن الحسين "امتداد طبيعي لشخصية الرسول محمد؛ لعموم الصفات المشتركة بين الشخصيتين المقدستين، ما عدا النبوة"²، فيقول النواب في الحسين:

"أنا أنتمي للفداء

لرأس الحسين

وللقرمطية كل انتمائي"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص109.

² الحلبي، عبود وأخرون: "الطفيات في الشعر العرب-التطور والتاريخ". مجلة أهل البيت. العدد 10 / 2010، ص9. <https://abu.edu.iq/research/articles/13190>

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص111.

فالنواب هنا يربط بين أيديولوجيته الدينية والفكرية، والمشارك بينهما الفداء والثورة، وهو لذلك منتمٍ. ويذكرُ ما فعله الأمويين برأس الحسين عندما قطع وأرسل ليزيد بن معاوية، إذ يقول:

"لقد أفرغ الأمويين خمرهم

فوق رأس الحسين

ألا لا تخافوا"¹

مذكراً الأمويين بسؤالٍ يفتش في نفسية الآخر المدنس، ألا يتملككم خوفٌ مما فعلتم؟ ألا تخافون من فعل المقدس بكم؟ فرأس الحسين هذا يمثل الثورة والصلاح، بقوله: "هذا رأس الثورة/ يحمل في طبق يزيد"².

فـ"الحسين في ديوان مظفر كالرميض لم يمت، هو الذي يتراءى ضياءً، هو أكثر حياة من الأحياء، هو الشموخ"³.

إذ نطالع أيضاً في قصيدة "وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين" قول النواب الآتي:

"ولستُ أباغُ

أنك وحيٌّ تأخر

بعدَ الرسول

ومن المسكِ للروح

أجنحةً وفضاءً

كأنِّي أعلو

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص116.

² نفسه. ص117.

³ هاني، إدريس: مقالة بعنوان "مظفر النواب و(بين السماوات ورأس الحسين)". مجلة كتابات في الميزان. 29-9-2017.

<https://www.kitabat.info/subject.php?id=105560>

وَيَجِدُنِي أَنْ تُرَابِكَ

هَيْهَاتَ يُعَلَى عَلَيْهِ

وَبَعْضُ التُّرَابِ

سَمَاءَ تَضِيئُ الْعُقُولِ

فَأَيْنَ تُرَى جَنَّةٌ

لِتَوَازِنَ هَذَا مَقَامَكَ

هَلْ كُنْتَ تَسْعَى إِلَيْهَا

حَتَّى تَخْطِيَ

أَمْ تُرَى جَنَّةَ اللَّهِ

كَانَتْ تُرِيدُ إِلَيْكَ الْوَصُولَ"

إذ التقت روح مظفر بروح الحسين المخلاة في الجنان، حيث يمتاز الوقوف بالرهبة والكبرياء، فذات النواب تلتقي وحيًا مُجَنَّبًا لا يعلوه شيء، فالحسين مكانه السماء فهو من أهلها، إذ عاد إليها بعد موته، ويُظهِرُ النواب مصاحبته للحسين؛ كونه التوازن للصراع الطبقي بين الحاكم والمحكوم، ولهذه المصاحبة الصادقة والاعتقادية كان النواب محطاً لسهام الحكام وحكوماتهم.

ويكمل الشاعر قوله:

وَتَبْقَى الثُّرَيَّا"

مُعَلَّقَةً فَوْقَهُ

أَسْوَةٌ بِالثُّرَيَّاتِ

فوق ضريحك

يا رب نور

بتلك الثريات وجهي

وبالطلع

إذ يتوسل النواب من الله أن يكون على تواصل دائم بالحسين، وأن يكون وجهته التي تضئها
ثرية تنير ضريح الحسين مع بقية الثريات الأخريات.

حيث جعله دائم الوجود في كل زمان ومكان، فأجاز الشاعر صلاح وقفته الثورية الدائمة،
فيقول:

يومَ تَرَجَلْتِ بَيْنَ الرَّمَّاحِ

كَأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي

فَوْقَ كُلِّ خِيُولِ الزَّمَانِ

فَمَا وَقَفَتْهُ الْعِزُّ

يَوْمَ الطُّفُوفِ مِنَ الْأَمْسِ

بَلْ لِلزَّمَانِ جَمِيعاً¹

إذا توجه النواب لعلي وبنيه؛ لبتَّ الأمل في روحه، وشحذ الهمم من تجربتهم الثورية، فهو بذلك
التوجه يستمد نشاطه الثوري منهم، بقوله:

"تعلمت منك ثباتي وقوة حزني وحيداً"²

¹ قصيدة "وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين"، <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>

² نفسه.

ومن هنا ترى الباحثة: أنّ النواب يعود لشخص واحد ذي مكانة في الإسلام وشأن عظيم، في حين لم يلجأ لشخصية أخرى بذات الصفات يشكو لها حاله؛ لذلك تفرد علي وأبنأؤه بمظاهر التقديس علناً، وذلك من خلال مخاطبته لعلي بـ"مولاي" أكثر من مرة و"ملك الثوار"، إذ خرق الأمويون هذا المقدس عندما قتلوه، وجعلوا من رأس الحسين وعاءً مدنساً لخميرهم.

وأهم الصفات المقدسة الأساسية فيهم، أنه يجب على المرء أن ينظر إليهم برهبة واحترام، عندما خاطب الأمويين: "ألا لا تخافوا" بقتلكم الحسين.

فظاهر القداسة للعلي وبنيه، تلخصها الباحثة في الآتي:

خصّهم النواب بصفات لم يعطها لغيرهم، إذ نعتهم بألقاب فيها كلُّ السمو والسيادة، مثل: مولاي، ملك، الجنة، إمام الشهادة، أمة للنهوض، وهي صفات مشتركة ذكرها في "مسرحية الحسين شهيداً"¹ لعبد الرحمن الشرقاوي، ملخصها أنّ الحسين هو الكلمة الفصل، وأنه ذاك "الحب الحزين الذي يخالطه الاعجاب والشجن والحنين الخارق إلى العدل والحرية"².

وكذلك كثرة الحضور الشعري شبه الدائم، إذ ربطهم النواب في كل محاور أشعاره الموضوعية-أي تصوره الدائم معه، وهذا ما سأظهره لاحقاً في التحليل.

ثانياً: السيد حسن نصر الله

عندما أشرفت "قصيدة من بيروت" عن أحداث بيروت في الثمانيات بمناخها الحربي التاريخي، نجدُ بداخلها مقدساً شخصياً أحبّه النواب وبعّله.

وفي سياق الدلالة نفسها من تقديس الأبطال وتعظيمهم، ما نراه في جلّ قصيدة "المساوره أمام الباب الثاني" عن البقاع اللبناني، الذي اتخذ منه النواب خليلاً لروحه؛ مبرراً ذلك أنه كان محطة لقتال شريف سجلت أشعاره أحداثه المشرفة، ومقدّساً النواب حاميه.

¹ أنظر: الشرقاوي، عبد الرحمن: مسرحية "الحسين شهيداً". القاهرة: مؤسسة روز اليوسف. 1969.

² نفسه. ص 5.

هذا المقدّس البقاعي هو (حسن نصر الله) إذ صيره إلهاً وسيداً وعريساً، عروسه البقاع اللبناني، وعرسهما يوم يحمل السيد البندقية، حيث قال النواب فيه:

" لم يحمل السيد البندقية

مثل اللصوص بغياً إلى بيته

بل عرساً"¹

إنّ الاختيار الدقيق لهذا السيد مدافعاً عن حرّمه (الحمى المقدّس/ البقاع) جعله شخصاً ينظر إليه بتعظيم وإجلال، وهذا ما نتأمله في النعوت التي ينسبها النواب تكراراً لحسن نصر الله، نستدل منها على تقديس النواب له، على اعتبار أنّ هذه النعوت لا تقال إلا لمقدس: (إلهاً، سيداً، مدافعاً، عريساً، أمد اللوز)، وكان الثاني أكثر الألقاب شيوعاً في القصيدة. حيث يعني السيد "الرب، المالك والملك، حاملاً بهذا اللقب صفتي الشرف والعفة".²

هذا العريس الذي التحمت به بندقيته حتى يوم عرسه، جاءت بعض القرى (بلعبك، وجبل عامل)؛ لتهنئه بإتمام العرس-الزواج المقدّس الشرعي- لكنه كان مستعجلاً القتال.

فشجاعة السيد حسن/ المجاهد في سبيل الله، غير شجاعة اللصوص قاطعي الطرق وسارقيها. إذ وصفه بأوصاف متنوعة تحمل وجهين:

الوجه الأول: الصفات الإلهية بقوله:

"أنت لا تنتهي

أنت يا مدافعاً

يا إلهاً يمدُّ بقامته

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص290.

² أنيس، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط". ص486-487.

بين زيتونتين بقاعيتين¹

ويقول النواب أيضاً: "باليدين الفدائيتين غدوت إلهاً"² مدافعاً عن البقاع، من اللصوص/ المدنس، إذ ربط القدماء الآلهة بقدرة علوية خفية مسؤولة عن تحرك حسي ما.

والوجه الثاني: تمتعه بالصفات البشرية، وهي:

(أصابه قاذفات اللهب، أمر النار فاستبسلت، تجلس بين يديه كل الموازين وتجتمع، علم البندقية الهجوم وجنبها الذل). فميزه النواب عن غيره حين كناه "عريس البقاع"، هذا العريس الإله على اتصال مباشر مع الرب، فهو محمي بالعبادة الإلهية، وربما كانت الانتصارات التي حققها السيد نصر الله سبباً مباشراً في تأليهه.

وبالتالي صار أسطورة زمانه لما نسجه النواب حول شخصيته الخارقة.

وتضع الباحثة عنواناً آخرًا لقصيدة" فتى اسمه حسن" وهو: "خوارق الفتى حسن" التي امتاز بها وتعجب منها النواب، قائلاً:

"ما شاء الله حسن

كبرت كأنك كل الدنيا

أو تتجاوزها بمسدسك العبقري اللون

وهم مسدسك الفاجر

يرجم أرحاماً لأنظمة العربية وزعامتها"³

هذا التجاوز للبطل حسن أقرنه النواب بأداة الثورة -المسدس- التجاوز المشروع المقدس اللاعن لرحم الأنظمة العربية وحكامها.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص282.

² نفسه. ص283.

³ جميع الأشعار الواردة في هذه الصفحة مأخوذة من قصيدة" فتى اسمه حسن": <https://tinyurl.com/yzsy4uk5>

فالنواب يعلن إيمانه بالقراءة الثانية لكل فعل في الدنيا، فأخذ يسرد مشهداً حريباً بطريقة
دراماتيكية يحمل صدق مشاعره تجاه السيد حسن نصر الله، مبيناً ماذا سيحصل عندما يتواجه
أشلاءك-أي أنصار الحسن-مع العدو وجرافاته؟

فيقول النواب:

"حين الجرافات أرادت أن ترفع أشلاءك

والإقدام الثوري بعينك

ارتفع الشارع

واهتزت وهنا من ثقل الإيمان الجرافاتُ

كأن الشعب تنزل تنزيل القرآن عليك

وتصعد رايات أبي عبد الله العطشى

صارخة بالدم على أيام يزيد

ودعارة لياليه"

ويكمل الشاعر:

"ألا تشناقك نجمات في الكرم

وأشجار التفاح

وصمت الناس"

فصور التقديس للفتى حسن تعددت في القصيدة، وهي:

1. ارتفاع الشارع واهتزاز جرافات العدو علامة على شدة هذا البطل المقدّس وقوته.

2. دعوات الشعب الموجهة لحمايته على الدوام، فترقيه من بطش الآخر المدنس-يزيد ودعارة لياليه، وهذا دليلٌ على موافقة الشعب لفعله وموالاته له.
3. الناس في ترّقبٍ دائمٍ لظهوره.
4. وجود حوارٍ دائرٍ بين القديس حسن والله، أعطاه الله فيه مفاتيح الجنة، وله الحكم عليها يُدخِلُ من يشاء ويمنع من يشاء، لكن القديس هنا وأتباعه - الشهداء-فضلوا العودة لضيعة بنت جبيل قبل دخول الجنة.
5. يقرُّ الشاعر بأن المقدّس حسن خُلِقَ للعمل السريِّ الحربيِّ الخفيِّ، إذ اتخذته الضيعة عريساً لها تخدمه.
6. ناداه النواب سيف الله، مولاي، إمام الحق، مسؤول الفرح الإنساني، مطير بالخير -اعتقاداً بأنَّ له قدرة على إنزال مطر الخير الوفير، وأخي الذي يكن له المجد والاحترام، وحببي.
7. مواعيد الفتى حسن الثورية عقدها مع الشمس، ولم يخلف أيُّ منهما مواعده، وطرح النواب أسئلة يقول فيها:

"ما هذا العبث الصبباني بمفهوم الموت؟

ما هذي الجدية في معرفة الله

وفي معرفة الشعر؟

ما هذه الكليّة في مفهوم الكون؟

ما هذه الأغنية يا مولاي كنغمة طير؟

تشير أسئلة النواب هنا أنّ الفتى حسن ذو علاقة إيمانية وطيدة بالله، فهو يتصف بالكلية والشمولية في فهم موازين الكون، إذ لا يخاف الموت، بل يعاركه كأنه لعبته.

ويقول النواب أيضاً:

"تشم الطرق الصخرية

أسئلة كالألوان الزيتية

في عينيها لم تجهش بعد

وكم صعب ألا تجهش أم شهيد؟

وصلت في أزهار اللوز

لُمدَّ جرائلها بالعبق الصيفي الغامض

امطر قُبلاً بالطل على قرآن أصابعها

واهمس مهماً لا يسمع صوتك

في عالمك الصمتي الغامض

اهمس

اهمس أمي...أمي.....أمي.....أمي

يلتقط الشارات الكونية

تدري أنك في البيت

لست تغادر إلا ليلة عيد

أمي

يا أمي

يا أمي أنتِ هنا؟!

ويرين الصمت كثوب الأرض الرطب

وتسري في قدميها الدوخة

وتهاوت

حطت فوق القدمين¹

أما النقطة الثامنة التي تظهر شخص المقدس حسن، أنّ النواب يظهره غير مرئي لأم الشهيد، مجرد همسه المتكرر لها بلفظ أمي، يجعلها تدرك وجود روح ابنها الشهيد في فناء البيت، فسمعُ الأم التقط شيئاً من هذا الخفي، مكماً المشهد أنّ أم الشهيد تهوى على قدميها فاقدة الوعي لهول ما سمعته.

هذه السمات تعطي أهمية كبرى وتهويلاً لرجولة حسن الذي ما زال فتى، متحدثاً النواب عن خوارقه، فتجاوز بهذه الأمور حدّ الأساطير، إذ تبين مدى التقديس لشخصيته.

ثالثاً: سليمان بن خاطر²

أحيطت شخصية سليمان بن خاطر بهالة من التقديس الشخصي والتبرك المقدس منه، فقال فيه النواب:

"وسليمان بن خاطر كان صديقاً نبياً

وإماماً

قبّل القبر بأكياد"

فهذا الهرم الطفل

احتوى أسرار مصر كلّها

¹ قصيدة فتى اسمه حسن. <https://tinyurl.com/yzsy4uk5>

² ذلك الجندي المصري الذي قتل عدداً من الإسرائيليين على الحدود بين مصر وفلسطين المحتلة وقتل بسجنه.

وأقانيم الخلود والطوفان والطود

أما كان كلیم الله في رابية الطود

وناداه: سليمان بن خاطر

طهّر البيت من الأرجاس وانزل أرض مصر

حذّر الأحزاب من دوامة السلطة

والنصفية العاهرة

بلّغها أنّ الله لا يقبل إلا بالبوريد السلاماً¹

تعددت مظاهر تعظيم النواب لهذا البطل، فكناه بالصدّيق، ثم بالنبي لأنه بشرّ بما هو أت في مقابلة العدو؛ لذلك جعله إماماً هادياً لغيره، إذ أودع النواب مضمون قدسية البطل سلمان بعد موته، وهو تقبيل قبره-أي التبرك بميت؛ لأنّ قبره يشمل الثالوث المقدّس المصري من إرث ديني وتاريخي، فقبره يحتوي على خلود الروح والطوفان وجبل الطود.

وامتداداً لقدسية ابن خاطر، أخذ يحاوره كلیم الله -موسى عليه السلام- من أعلى الطود، بأنّ يطهر البيت (الأرض المصرية) من النجس، في حين لا يُطلبُ الطُّهر والتنزيه إلا من علوي مقدس لا يعتريه الدنس والرجس، وأنّ يُحذّر من فعل السلطة، ويبلغ رسالته الثورية أنّ البوريد هي طريق السلام، فالأفعال (طهّر، وحذّر، وبلّغ) أفعال أمر جاءت من نبي-موسى عليه السلام- لشخص نافذ في سلطته، وكأنه أقرب لملك أو سادن يحبُّ العدل.

فكما نلاحظ، أنّ البطولة عند النواب أخذت تتغير من "المبالغات الوصفية إلى وصف الواقع برموزه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية حتى الفردية"².

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص282 ص409

² السالم، وارد بدر: مقال بعنوان "تحولات صورة "البطل" في تاريخ الأدب والفن والأسطورة". صحيفة العرب.

العدد113841/نشرت بتاريخ21-6-2019م. 2019م. <https://tinyurl.com/yjbsceuo>.

رابعاً: عبد الله الإرهابي

قد أتاح النواب لنفسه إصدار الأوامر لعبد الله، ولذلك كثر اعتماده على أفعال الأمر في أكثر القصيدة.

فجسد الله الإرهابي شخصية ثورية ترعرعت على واقع عربي ميؤوس منه، فوضع النواب على عاتقها فعل الثورة التي تموج في نفسه؛ لأنَّ عبد الله صاحب قضية ومحارب، عليه القيام بما أمره به الشاعر النواب، ومن هذه الأوامر (اصفعمم بنعالك، ضع مسدسك، اسند كوعك للكوة، مدَّ الرشاشة، اثبت، تحجر... إلخ)، وتعددت النعوت له، وهي: " عبد الله القادر، المتمكن فعلاً، أنت قصاص، أنت الحي الباقي القهار "، حتى استشهد ورحلَ عن النواب والعامّة، إلا أنَّ النواب يقول فيه مصرحاً بقدرته غير المحدودة على البقاء:

"في قلبي شيءٌ أجهله

يفهم أنك باق معنا

يفهم أنك باق بين مقابرها

وخرائبها والمستقبل"¹

فخلدَّ النواب حزنه وصوته واسمه حين قال:

"تحفر حزنك في حجر الليل

نذكر اسمك نزرعه في أفق الدهر

على الشرفات

نتشبث صوتك نعرفه معرفة الجرح"²

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص483.

² نفسه. ص486.

ومن هذه النافذة التعريفية لهذه الشخصية تتساءل الباحثة:

كيف جعل النواب إذن عبد الله الإرهابي مقدساً؟

إذ يقول النواب فيه:

"يا عبد الله

يُقَبِّلكَ المنقرضون؛ لتصبح منقرضاً

ادفعهم يا عبد الله

طَهَّرْ وجهك من رؤيتهم

كيف يقبلُ مرحاضُ إحصار¹

فاشترك الفعل بين الشاعر وعبد الله، أنَّ لهما عمل قبل الإفطار هو التخريب بالحق، إذ يُظهر الشاعر لنا الانهيار المتواصل بين القطبين (المقدس/عبد الله وفعله الثوري، الإحصار) و(المدنس/ المنقرضون، المرحاض)، إذ يسرد النواب مشهداً سياسياً قد رآه بعينه أو يخاف حصوله، وهو إغراء المدنس المتواصل (المنقرضون) للمقدس (عبد الله) باصطناع التودد والمحبة، لكن الشاعر تدخلَ ليقدم النصح والإرشاد بفعل الأمر للمقدس حتى لا يخالجه الدنس ويبقى محتزراً من النجاسة.

وكانَّ النواب يقول له أبيات النابغة ناصحاً:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزَعُمُ أَنِّي

صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لِعَازِبُ

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني بِلِسَانِهِ

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص480.

ولكن أخي من ودني وهو غائبُ

وتلاحظ الباحثة أيضاً، عنونة النواب للثورة بالإعصار مما جعل النواب يتساءل بتهكم كيف يحصل ذلك الودُّ؟

فالنواب لم يلقب المنقرضين بالريح كما هو في المثل القائل: "إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصار"¹، بل قلل من قيمة المدنس ودلّه أكثر بوصفه مرحاض.

خامساً: خالد أكر²

يطرح النواب أسئلة في قصيدة "قل هي البندقية أنت" حول شجاعة بطل لا يستطع تعريفه للآخر، حيث يقول فيه "لا تزال تحوم في الجو/ لا تزال... ما أنت؟"³، حتى تخيل له تعريفاً قد ينصفه، فقد يكون عقاباً أو دويماً يسمعه الجنود فيفرون منه، ثم يأتي على تشبيهه "بهبوط القرآن الذي شنت شمل الكافرين وكسر شوكتهم وأزال جبروتهم"⁴، فالقرآن مقدس لغوي إسلامي لا يجروء أحد على المساس به ولو كان من باب التشبيه، لكنّ النواب جاء بالقرآن كطرف ثانٍ للتشبيه؛ ليكون هناك تناسب منطقي بين هبوط خالد النوعي ونزول القرآن المعجز، حيث اتصل التشبيه هذا بالقيمة النفسية لفعل خالد الثوري، وبالتالي جعل من النص محتوى مليئاً بالعاطفة مع المتلقي، يتولد منها شعوراً بأنّ خالدًا مقدس.

ثم قال بعد هذه الأوصاف جزاء لخالد: و"مالك من كفاء أحد"⁵ وقرن بفعله الثوري المقدس علي-رضي الله عنه-بقوله الآتي:

"أكيد أكيد تم اتصالك بالكون

ومضات عينيك كانت تضيء رؤوس الجبال

¹ أنيس، إبراهيم أخرون: "المعجم الوسيط". مكتبة الشروق الدولية. ط4.2004. ص604.

² مقاتل سوري الجنسية، نفذ عملية قبية الفدائية بطائرته الشراعية على معسكر للعدو الإسرائيلي.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص251.

⁴ ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص114.

⁵ تناص ديني صريح مع سورة الإخلاص.

وأكتافها، لكنه شُرْفَة الدهر

سمعت الرفاق الثلاثة (الخالصة)

من داخل القبر

قدر رفعوا زهرة صوتهم

السلام عليك يوم ولدت

ويوم تموت

وتبعث حياً¹

إذ خصَّه شهداء الخالصة بسلام يحمل الأمان في أحوال ابن آدم الثلاثة، الميلاد والموت والبعث، فلا يمسه سوء ولا فزع.

سادساً: خالد الإسلامبولي

قبل الولوج في الحديث عن كيفية تقديس خالد، لا بدَّ من تعريف هُويَّته وما تمثلت به تاريخياً، فهو "الضابط المسلم الذي نفذ قتل السادات ثم حوكم وأعدم"².

إذ تتبأ النواب في قصيدة "طلقة ثم الحدث" بنبأ تحمله (سوف) لم يأت بعد، شارحاً حدث الاغتيال ومناقشاً ما مثله الآخر الخائن أمام ذات خالد الطاهرة المنتقمة والوعي الثوري الذي تحمله، ذكراً المشروع السعودي الإسرائيلي البائع لفلسطين ومصر كذلك، هذه المواضيع في مجملها موروثة عن كل تائر مكررة في أشعاره؛ لعلها تغرس في سلسلة الأجيال المتعاقبة كلما قرئت.

ومن صور تقديس خالد: أنَّ النواب جعله راسماً لمستقبل مصر، فعله واقع لا محال؛ فيقول:

"أنت وحدت بغداد ليلة"

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 250-251.

² ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص 110.

لونها الكحل

وغرزت بعشق الأرض

ما من قدر إلا بإذن منك يستأذن

فأذن يا حبيبي

واحترس ما كل غث ثمر غث

أقدس الأمطار مدراراً¹

هذا القرار الذي اعتبره النواب وسيلة لبناء مصر المنهارة أخلاقياً، نفذه خالد نتيجة ارتباطه برسالة الكون الكبرى ألا وهي (الوعي) فيقول النواب فيه:

"لكنني أرى عشقاً في قرار القلب

ثمَّ النار ثمَّ البحر ثمَّ التاريخ

ثمَّ الوعي الرسالي لهذا الكون"¹

وتزيد الشواهد الشعرية عن قدرة خالد الخارقة أنه مالك الأقدار ومواقيتها، وبعد هذا الفعل أعاد خالد مصر إلى مكانتها المقدسة، إذ يقول الشاعر:

"عادت ماسة النيل إلى العقد الإلهي/ فحسن العقد من حسن الفراند"

فمكانة خالد الذي ملكها عند النواب متأية من مكانة الحدث الثوري المبارك الذي قام به، فقدم له قلبه، ثمَّ أعطاه النواب الشهادة المقدسة الخاصة به.

¹ قصيدة "طلقة ثمَّ الحدث": <https://anfasse.org/51-2010-11-18-11-31-15>.

سابعاً: ناصر بن سعيد

ظاهر الأبيات في قصيدة "الأساطيل" لا يدلُّ على تقدسيه أو جعل قبره مكاناً مقدساً، وإنما تصويره بالحيِّ سواء أكان مدفوناً بقبر أم بسجن جعلت منه مقدساً، كونه حياً بعد موته، وأضف إلى ذلك، أنَّ النواب ربط "النقابي السياسي اليساري السعودي"¹ بالثورة العارمة، والثورة في أشعاره مقدسٌ على الأمة الحفاظُ عليه، وبذلك نستدلُّ على عظمة ناصر بن سعيد.

ثامناً: الأم وقصيدة البراءة

إنَّ وظيفة الأم كما أوضحتها سابقاً تكمن في إدراك مساوئ البراءة ودرئها عن ابنها السياسي، جعل منها محطَّ اهتمام المجتمع، حتى جعلها الشاعر تحظى بمكانة ارتقت إلى مستوى التقديس، عندما كرر الشاعر على لسانها في قصيدة البراءة قائلاً:

"تحمل الموت والحياة في روحها بيدها

"يا اللي شوفك بيعث الماي الزلال بعودي وأحيا وأنا ميتة"

ويظهرها أنها دائمة البحث عن التنزيه والترفع كونها مبغضة للدناءة وندس البراءة، حتى لو ماتت، إذ يقول:

"يا بني ياكولني الجرب عظم ولحم

وتموت عيني ولا الدناءة"

ومن صور التبرك بهذه الأم الطاهرة قول الشاعر فيها:

"و يا بني لا تلثم شرفنا

وخلي إيدك على شيببي

¹ ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص 109.

واحلف بطاهر حليبي كطرة كطرة¹،

فلفظ "خليّ" تعني ما تمنحه هذه الأم من بركات لابنها، والحلفان على شبيها الأبيض شهادة توثق انتماءه الوطني وبعده عن البراءة. وبذلك تكن الأم مقدساً اجتماعياً.

تاسعاً: المنقذ

يظهر في أشعار النواب حوار مع شخص "منقذ"، المخلص القوي الذي كان ينتظره على الرغم من غيابه الطويل، ينتظره لينقذه ومن هم مثله من الغربة وعذاباتهما.

والمخلص على اختلاف صورته في جميع السرديات، "يضطلع بمهمة واحدة، وهي ملء الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وإقامة حكم الله ودولته في الأرض، ومحقق الظلم والاستغلال والاستبداد"².

فمنقذ النواب الذي لم يذكر اسمه لا تلميحاً ولا تصريحياً، جعل هويته خفية على المتلقي وعلى الشاعر نفسه، لكن المنقذ يدرك النواب جيداً ويعرفه، محاوراً إياه:

أفأست المنقذ؟

أفأست رفيق المتسخين؟

ولأجل صليبك أورق في الليل، اتسخت روحي يا منقذ

اتسخت روحي

وتعذب حتى وسخي

عانيت؛ لأنك تعرفيني في الغربة

¹ قصيدة البراءة. <https://www.angelfire.com/mn/modaffar/19.html>.

² بيسيوس، عبد الرحمن: "استلهام الينبوع: المآثورات الشعبية وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية". ط1. بيروت: دار السنابل. 1983. ص411.

عانيت؛ لأنك في ثقة متعبة، كالثَّكَّ¹

إذ يطلب النواب منه عدم تركه وحيداً للنسيان والغربة. وتظهر أسئلته الاستفهامية رغبته العميقة بالمشي وراء المنقذ، ناشدًا منه خلاصه وحياته؛ كونه رمزاً للعدل في ظلّ الظلم الواقع على الشعوب، ويكن هذا المنقذ صدى للحالة النفسية التي عاشها النواب عندما كتب قصيدته "قراءة في دفتر المطر" عام 1969، حيث "الدموع والشعور بالغربة"².

والطريف في الأمر أن النواب يرى في نفسه أنه منقذ الفقراء والشعوب، وهو بذاته ينشد ويحاوّر منقذاً آخرًا يخلصه من معاناته والظلم.

عاشراً: أبو مشهور

تحدث النواب عن شخصية تحمل صرّة مملوءة بالمتفجرات توزع من خلالها الخير والحبوى على أهل فلسطين وخصوصاً اللداويين، طالباً منه الشاعر: أن يقوم بثورة في دول الخليج النفطي، إلّا أنه استشهد، ويأخذ النواب على عاتقه محاسبة الدنيا تارةً له؛ لذلك قد يكون شخصاً يحمل قداسة؛ كون الناس تعرفه وتلفتت حوله، ويرفض النواب موته، عندما قال فيه:

"أقسم أن حمامات الساحات

سيعرف ثوبك

والأيتام سيجمعون إليك

بأمعاء فارغة

وعيون فارغة

وأمني فارغة

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص442.

² أنظر: ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ص260.

وملابس من صدقات السلم

وأنت تزور بيوت الفقراء

سيرونك¹

وترجح الباحثة أن تكون هذه الشخصية التلميحية عائدة لقيادي عسكري أردني اسمه "مشهور حديثه الجازي" قائد معركة الكرامة، حيث "شارك النواب في معركة الكرامة"²، ولربما عرفَ شخصية هذا القائد، فرسم خياله الشعري الثوري شخصية أبا مشهور لتحاكيها.

خلاصة المقدّس الشخصي

المقدّس الشخصي الذي انتقاه النواب كان من الفلاحين البسطاء عامة، والقادة الثوريين خاصة، فليس كل من ذكره النواب بطلاً في أشعاره صار مقدساً، إنما فرّق بين البطل وأسطرة البطل-أي جعله مقدساً، إذ نجح النواب في استدعاء المقدّس الشخصي الذي يخدم ما يموج في نفسه لأبعاد نفسية دينية سياسية سأوضحها لاحقاً.

وأسطرة البطل في أشعار النواب هي: نتيجة الفعل الخارق للبطل في ظل التحدي والصراع بين قطبي الكون المقدّس والمدنّس.

فهذا المقدّس الشخصي الذي أعطاه النواب مساحة شعرية مناسبة؛ لمكانته المقدّسة ولفعله المقدّس كذلك، أتى بهم كما هم في بيئتهم الواقعية، إذ كانوا سجناء العالم الواقعي مقيدين به، لكن الشاعر في أشعاره جعلهم أحرار العالم المقدّس الأسطوري.

وأخذت الشخصيات المقدّسة من خلال ما نسجه النواب حولها بسبب أفعالهم الخارقة، مكانة متقدمة في التراث والتاريخ والدين والواقع الراهن، هذا ما جعلها مختلفة عن بقية الأبطال لديه، حيث أنّ البنية الاجتماعية لهذه الشخصيات المقدّسة عنده، قدمت تفسيراً للصراع الطبقي

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص419.

² بلالو، ماجد: محادثة فسيوكية. يوم السبت. الساعة 11:30 ليلاً. بتاريخ 17-4-2021.

الاجتماعي؛ كونها تحمل من خلال أفعالها طاقة أهلتها للتأثير الفعال على الحدث السياسي والاجتماعي العربي.

إذ أعطاهم النواب خصوصية تمثلت بالآتي:

1. المقدّس الشخصي علي، حسن، خالد، ناصر، كلها أسماء ذات إشارة واضحة على العلوي والسمو، فهم يتصفون بالطهارة من الدّنس وما ينسبه أهل التبعية(الحكام) إليهم.
2. أنهم أحياء بالرغم من موتهم-استشهادهم-فهم باقون بين الأحبة أحياءً بأفعالهم الثورية. فالنواب لا يرى هؤلاء الأبطال أمواتاً، إذ لم يذكر أي لفظ يدلُّ على انتهاء أرواحهم، بل تجد الباحثة أنّ أشعاره تؤكد أنهم أحياء خالدون؛ لذكره لفظ "أنت الحي الباقي" في أغلب صور المقدّس الشخصي عنده، مما يؤكد على حضورهم الفاعل الخالد.
3. ينحدر المقدّس الشخصي من مكانة اجتماعية مستضعفة، وطبقة ممسوخة المعالم حتى غدا مقدساً مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالسلطة؛ لأنه امتلاك القوة الفعلية للتغيير، ألا وهي (الوعي). فتعدد المقدّس بين قائد قوي ملهم أو خليفة-النبي الصالح/علي في نظر النواب- أو فرد من عامة الشعب، كان التاريخ العربي قد أهمله لكن أشعار النواب أبرزته كنمط ثوري فردي أو جماعي.
4. جمع النواب بين المقدّس الشخصي والتاريخي، فهم أبطال حقيقيون، ليسوا من نسج الخيال، صاروا رموزاً "الدور ما من أدوار الحياة وخاصة الهامة منها، فكلما كانت شخصية البطل قريبة من الواقع حافلة بعناصر الإقناع مكتملة الملامح والسمات، أصبحت أكثر جاذبية وأعمق تأثيراً"¹، إذ عبر المقدّس الشخصي عن ذاكرة النواب المريرة وثقافة الوعي لديه وهويته العربية، مما جعلهم داخل هالة المقدّس.
5. يعدُّ المقدّس الشخصي تمثيلاً رئيسياً لمراحل تاريخية مرّت بها المجتمع العربي قاطبة، وبذلك أصبح محوراً في أشعار النواب، لأنه أخذ دوراً حاسماً في صياغة الفعل الثوري معبراً من خلال ذلك عن المواقف الاجتماعية والأيدولوجية التي مرّت بها كل مرحلة.

¹ الكيلاني، نجيب: "مدخل إلى الأدب الإسلامي". ط1. قطر: مطبعة الدوحة الحديثة. 1987. ص50.

فهذا المقدّس ثوري بالدرجة الأولى، إذ اكتسب أشخاصه التقديس بفعلهم وليس لذواتهم، والخارق المشترك بينهم في نظر النواب: هو الخارق الفعلي الثوري القوي الذي كسر الواقع السياسي في ظل الصراع الطبقي الاجتماعي، فهم متميزون بصدق المبادرة الثورية غير متكلفين بها؛ كونهم يحملون الدلالة الفكرية الواحدة.

6. إطلاق النواب ألقاب التعظيم عليهم، إذ تضمنت تقديساً كبيراً لهم من حيث كثرة حضورها في أشعاره، حتى أنه أله بعضهم، مثل: "إمام الشهادة، أمّة للنهوض، مولاي، ملك، إلهاً، سيدياً، المحال، القصاص، السماء"، فأضفت صفات الاجلال والتقديس عليهم.

7. ميزهم بخصال خاصة بهم:

أ. الكلية: وتعني بها الباحثة الاحتواء الكلي للشعب، ونفي الطائفية عنهم، بالرغم من انتماءاتهم الخاصة المتنوعة، فمنهم الشيعي واليساري والسلفي وغيره.

ب. التفرد: حيث قال في قصيدة الخوازيق:

" نسبي إليكم أيها المستفردون

وليس من مستفرد في عصرنا إلا الكرامة"¹

ومن هذا التفرد تعلقو كرامتهم التي كان ثمنها حياتهم.

ج. الصلة الكونية: أي ارتباطهم الظاهر بالكون، بعناصره الطبيعية وكذلك الروحية، وارتباطهم بـ"أبعاد الكون الذي يعيشون فيه، ماضيه وحاضره ومستقبله وامتداده وتوقعه؛ كونه الحدث الأكبر".²

د. النزاهة والإخلاص الثوري، إذ لم يطلبوا ولاية على الشعب، وإنما هدفهم إعلاء المجد العربي الأصيل.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص537.

² غليون، برهان: "الوعي الذاتي". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط2. 1992. ص21.

وتبرز أهمية المقدّس الشخصي أنّه أكثر أنواع المقدّس تواجداً في أشعار النواب،
إذ يرتبط ببقية صور المقدّس على اختلافها (المكاني، الحسي الأدائي، اللفظي).

2. المقدّس المكاني، الأرضي (الدولة/المدينة)

يعدّ المكان كبيئة اجتماعية تربية مكملاً لذات الأديب، تاركاً الأثر الأكبر في أخلاقه وتكوينه
النفسي واستعداده الفكري وإبداعه العقلي، وبالتالي مشكلاً عنصراً أساسياً في طرح فكره الأدبي
للقرءاء.

إذ تُعرّف الأماكن المقدّسة أنها: " تلك الأمكنة المعتبرة من قبل الأديان السماوية الثلاثة التي
تؤمن بعقيدة التوحيد"¹. والمكان عند النواب لم يكن إلا لباً/بؤرة تقوم كل أشعاره على استرداده
بعد الفقد أو التمسك بالصالح الآمن الهادي منه، مقدساً لبعض الأمكنة ومدنساً لغيرها.

فجاء على ذكر الدولة والمدينة والأرض المقدّسة في أشعاره، وهي:

أولاً: فلسطين/ القدس

تحمل مدينة القدس ظاهر القداسة في معناها اللغوي، ومكانها الجغرافي، ومكانتها الدينية عند
الناس قاطبة.

فليس عجباً أن يكتب النواب عنها، حتى كانت محوراً أساسياً في متون نصوصه وعتباتها،
فهو-أي النواب-لم يأت على ذكر ما هو معروف عنها دينياً من البركة والطهر، وإنما
جاء بصورة غير مألوفة ضجت بها العروبة في قصيدة "القدس عروس عربتكم"، وهي:
عروس سلب شرفها علناً أمام عائلتها التي فرطت بعرضها وشرفها؛ لأنّ أهلها العرب
قدموا " الشرف الشخصي على الشرف القومي؛ لأنهم ذاتيون"²، فالمقدّس هنا يتحول بفعل

¹ يحيوي، علي: دراسة "حماية المقدّسات الدينية عند الدول غير الإسلامية". الجزائر: جامعة الحاج خضر. 2010. ص.9

² الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص.97.

الحكام العرب إلى مدنس، مخالفين الأخلاق، خارجين على قوانين الشرف والفضيلة، فيتساءل النواب:

ما قيمة عروس العروبة إذ اغتصبت؟ وما هو الشرف إذ أُسكِتْ مغتصبة؟

وتجنباً للفضيحة تركوها وحيدة، حيث يقول: "خلوها دامية في الشمس بلا قابلة"¹ فالموقف في نهاية الأمر والقصيدة كذلك يشجع الشاعر على الثورة والانتقام، هذا الانتقام يتجلى في الانفلات من القيود والبدء بالخراب لإرجاع القداسة لهذا المكان، فيقول النواب:

"سيكون خراباً..سيكون خراباً.. سيكون خراباً"

هذه الأمة لا بدَّ لها أن تأخذ درساً في التخريب"²

فهل رجعت عروس العروبة لقداستها؟

يشدّد الشاعر على رغبته أن يغير الحكام من نفوسهم، أو أن يأخذ الشعب العربي طريقه نحو الثورة التحررية ليرجع قداسة القدس لها.

ولا بدَّ أن تكون بقية المدن الفلسطينية في نظر النواب مقدسة كونها بيت الثورة، فيقول: "إنَّه درب الثورة إلى حيفا تعافي من ظهره جرحه"³.

ثانياً: مصر/النيل

يذكر النواب مصر بذكاء شعري عظيم، فهو يعقد مقابلات للظروف المكانية لمصر الكنانة بين الجد والسخرية واسترجاع ماضي ملوكها وواقعها الحالي، فمصر التي تمثل الحقيقة هي سجون الرفض في نظره، ومصر الزائفة التي تنتشر في البيانات هي مصر البغاء، فالشاعر لا يصرح بتفديس مصر أو تدنسيها علناً وإنما نستدل على تفديسها من خلال أسطر شعرية، ليست

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص103.

² نفسه. ص104.

³ نفسه. ص529.

بالكثيرة، تذكر أبطالاً مصريين قدسهم النواب، أو ذكر في حدث سياسي أنّ النيل سيغسل مصر من دنس حاكم حكمها، فيقول:

"ومصر التي في السجون مع الرفض

أما التي في البيانات مصر البغاء

وحاشا فإن من النيل ما يغسل الدهر

مهما طغى الحاكمون الجفاء"¹

لا بُدَّ للشاعر أن يكشفَ عن القداسة الكاذبة/مصر البغاء والبيانات، فيعلن إعراضه لهذا المقدّس الزائف، فيقول حاشا أن تكون مصر كذلك-تدعي شيئاً وتفعل آخرًا-فأتى على النيل/المقدّس ليس من باب الفراغ؛ وإنما لما يحمله من أساطير قدسته، "فهو من أنهار الجنة، ومحمول على أجنحة الملائكة حتى غدا إليها يعبد ويقدس عند المصريين"²، وفي النتيجة سيظهر مصر من دنس حاكميها.

فالنواب لم يقبل أن تكون هذه المدينة في كنفن العالم الدنيوي/عالم الحكام المدنس، وإنما أراد عودتها إلى عالمها المقدّس.

ثالثاً: لبنان/ بيروت/ بنت جبيل/ البقاع

تتضحُ قصائد النواب بذكر بيروت، ليس كحبيبة شرقية للتغزل كما فعل قباني في ديوانه "إلى بيروت الأنثى مع حبي" الذي خصّه لها، وليس كمحمود درويش يذكرها في قصائده على أنها خيمة الفلسطينيين الوحيدة مشكّلةً محوراً في حياته، بيد أنّ النواب جاء على ذكرها مراراً كمكان مقدّس، تتنازع فيه وعليه (طبقة العرب الحاكمة المساندة للصهيوني/المدنس، وطبقة الثوريين

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص206.

² أنظر: منير، عمرو عبد العزيز: "مصر والنيل بين التاريخ والفلكلور". القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية. 2009. ص298-299.

المساندة للفلسطيني/ المقدس)، إذ مثّلت حاضنة للثورة الفلسطينية اللبنانية وخصوصاً (البقاع اللبناني)، فيقول في قصيدة "من الدفتر شديد الخصوص لإمام المغنين"، إنّ بيروت عانت ألمًا أشد من ألم الحسين عند قتله، فيقول:

"لعلّ الحسين إذا ما رأى طفلة

في شوارع بيروت

تنهشُ من لحمها الشهوات

سينكرُ مأساته

يقولون: من أمها وأبوها

أقول: الجنوب وتاريخه"¹

أما في قصيدة "عبد الله الإرهابي"، يقول النواب:

"قسماً عبد الله

بقبرين جماعين بصبرة

بيروت تنجسها

إن وضعت ملكُ المغرب

في قدميها الطاهرتين حذاء"²

إذ تتبوأ بيروت المقاومة المكانة الرفيعة التي حظيت بها في أشعار النواب، ومن أعظم ما تتميز بها، وجود قبرين صبرين، فيهما من الموتى ما لا يعدُّ، هذه العفيفة قد تنجس ذاتها، إذ وضعت

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص 511.

² نفسه. ص 464.

مُلك المغرب تحت قدميها كحذاء لها، فعليها أن تبقى حافية القدمين وحيدة محتملة الأوجاع ولا تلبس الحذاء، كي لا تَدنَّس.

فـ"تأكل بيروت من كتفيها/ ولا تسحب أرضها من تحت مقاتل"¹، فهي مستعدة للموت جوعاً ولا تغدر أو تمكر بالثوار الفلسطينيين وكوفيتهم، فـ"الحرّة لا تأكل بثدييها"².

حيث يُذكرُ ناجي العلي كأحد الأبطال الذين كتب النواب فيهم أشعاره، إذ لم يقده شخصياً، وإنما ذكر في آخر قصيدة الرثاء له، قائلاً:

"يرسم صمتاً نظيفاً

فإنّ المدينة تحتاج صمتاً نظيفاً

وترسم نفسك متجهاً للجنوب

البقاع

العروبة

كل فلسطين"³

فالبقاع وفلسطين المكانان الأكثر قداسة في أشعار النواب، فناجي له صلة بهذين المقدّسين، من خلال رسمه لذاته (حنظلة) المتجهة نحوهما، ورسم ناجي العلي (حنظلة) لربما يكون الفن المقدّس أيضاً عند النواب، فهو ليس كبقية الرسم؛ لأنّه الصمت الذي لا يتحرك، لكن بطهره ونظافة خطوطه ولونه الأسود امتلك التفرد.

فناجي العلي بمقدسه حنظلة أوصل فكره ومشاعره للشعوب، فالنواب ربط هنا بين المقدّس الفني والمكاني؛ لتزداد عاطفة القارئ نحو قداسة هذه الأماكن.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص472.

² القشطيني، خالد: مقالة بعنوان "الحرّة لا تأكل بثدييها". جريدة الشرق الأوسط. العدد14966/الثلاثاء. نشرت بـ 19-2019م. <https://tinyurl.com/ydbmsbmp>

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص223.

وقدس النواب في لبنان أيضاً ضيعة "بنت جبيل" أثناء حديثه عن شهداء-أنصار الفتى الحسن- فيقول فيها واصفاً عودتهم إليها:

"إنَّ الشهداء يحبون العودة للضيعة قبل الجنة

يتركك الله تهول بين سواقي الليل

إلى بنت جبيل

لولا ناداك تناسيت تودعه

ما زال بحب الضيعة قلبك مشغولاً¹

يظهر النواب أنّ بنت جبيل أهم من الجنة ذاتها، حيث يذهب إليها الشهداء قبل صعود أرواحهم إلى الجنة.

في أشعار النواب لا تخلو قصيدة من ذكر الحسين أو الإشارة إلى النزاع الأموي والعلوي، ومنه تجد الباحثة صدى واقعة كربلاء في ذاته، وما لها من قدسية نفسية، فكربلاء ستنقى العتبة الحسينية المقدّسة، التي غرست في نفسه وغيره من الشيعة. حتى وإن لم تعثر الباحثة على نص صريح في الأعمال الكاملة يقدسها. وتشير الباحثة هنا إلى أطروحة "يوري إيزنزويغ" التي بعنوان "المكان المتخيل والأيديولوجيا"²، إذ بقيت كربلاء المكان المتخيل في عقلية النواب وفكره الشيعي أثناء كتابة أشعاره.

فأثناء الحديث عن الأماكن المقدّسة تلاحظ الباحثة في أشعار النواب عمومًا -وفي أشعاره السياسية خصوصًا- تراه دائم الحنين إلى مكان مقدس معنوي عام (الوطن) وإلى مكان مرتبط بالثورة في أي بلد عربي بصورة خاصة (القدس، البقاع)، إذ امتلأت قصائده بها؛ متطلعاً إلى أناس يحملون نفس الفكرة والعقيدة، ويتجملون بنقاء الروح وبساطة الحال.

¹ قصيدة فتى اسمه حسن: <https://tinyurl.com/yzsy4uk5>

² حسانين، محمد: "استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل". 2003. ص53.

3. المقدّس الحسي/الأدائي

في قصيدة "عبد الله الإرهابي" يقول النواب:

"طلبوا شرف الكوفية من بيروت

أبتُ

إلّا أن تلبس كوفيتَهُ وتقاتل

وتقاسمه الخبزة والخندق والخذلان العربي"¹

إذ تعتبر الكوفية على اختلاف ألوانها وأشكالها "رداء خارجياً، كغطاء يلقى على الكتفين أو تستعمل لتكفين الموتى في الحضارات القديمة وخصوصاً القبطية منها"²، ومع تطور الدلالة الرمزية المجتمعية لها، أخذت مدلولات مغايرة، حيث أصبحت أداة تعكس النضال الشعبي العربي عامة، والثوري الفلسطيني خاصة، وفي بعد آخر رمزاً للشرف الإنساني.

ومن هذه الأبيات نطالع أن الكوفية أخذت سمة المقدّس/ الشرف-العفة والطهر، إذ تداخل المقدّس المكاني مع الأدائي، تأكيداً على رفعة بيروت المقدّسة حين رفضت بيع الكوفية للمدنّس، مشاطرة الثائر الفلسطيني ورمزه المقدّس، الطعام والميدان الثوري،

فـ "معاذ الله تسلم بيروت عفتها كالصمت العربي"³.

هذا الاستعمال المقدّس/ الكوفية له قوة التأثير النفسي على الثائر-إذ تزيد العزم وتسدّد الظهر، فملكّت المكانة المقدّسة ولو كانت قماشاً. وقد تكمن إشارة النواب إلى شرف الكوفية كدليل على الصراع الثقافي الأدبي الدائر بين العرب والاحتلال الصهيوني.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص471.

² جرجس، سلوى: "طرز الأزياء في العصور القديمة". القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص130.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص472.

ويقول النواب في موطن آخر:

"أقسمت بأعناق أباريق الخمر

وما في الكأس من السم

لن يبقى عربي واحد

إن بقيت حالتنا

هذي الحالة بين حكومات الكسبية"¹

يقسم الشاعر بغير الله كما في أبياته، إذ قدس المدنس وهو أداة الخمر/ الأباريق من خلال الحلف بها، في حين يكون القسم/ الحلف لله صاحب القوة/ المقدس، و"اليمين بغير الله مكروه ومنهي عنه ويدخل صاحبه في الحرام"²، فذلك فيه "تعظيم لغير الله واتخاذ هذا المعظم نداً له من دونه"³، لكنّ النواب هنا لم يدخل في باب الشرك اللفظي، لأن الخمر كما أوضحت سابقاً، تعد عنصراً أساسياً مقدساً في أشعار النواب، أي أنّ اللفظ/الخمر دارج على لسانه وفي قلمه، وجاء بالقسم بأباريق الخمر من باب التقرير والتأكيد على فناء العروبة إن بقيت زمام أمورهم بيد حكوماتهم، لا لتعظيمها والتناول على الله.

4. المقدس اللفظي

كنى الشاعر خبر استنشاد أبطاله، وشهداء الثورة بالنبا الطاهر، حينما قال في قصيدة "فتى اسمه حسن":

"ووجهك كان يرفرف كالخفيشة

ينثر في الجو الساخن أنباء طاهرة

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 97-98.

² الجوايرة، باسم فيصل: "المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره". ط1. الرياض: دار الراية. 1993. ص 15.

³ نفسه. ص 24.

لولا وجهك

لم تقرأ صحف الرجعية هذي

أحياناً تخرج هذي الصحف الموبوءة صامتة

كالغازات... كال

صنة"

إذ يَعتَبِرُ النواب أخبار الشهادة والاستشهاد اللغّة المنطوقَة والنصية المقدّسة؛ لأنّ هذه "اللغة أكثر تأثيراً على المتلقي وتوجيهه نحو الوجه التي يريدّها"¹، ويقابلها اللغة الصامتة المدنّسة ذات العلاقة بالرجعية والسلطة القائمة، هذه الأخيرة لا يروق لها خوارق الفتى الحسن فالتزمت الصمت.

ويربط النواب كلمة الحق التي يجاهر بها أمام العن كله (بالقبة والضريح) وكلاهما رمزاً دينيان يحملان القداسة، فيقول:

"فيما أقول

فإنّ الشهادة من أجل قول جريء

ومعتقدي

قبةً وضريح

إذ كان بعض

يفكر في النيل مني

فهذا أنا

¹ عبد الله، عودة: مقال بعنوان: "الاتصال الصامت". مجلة المسلم المعاصر. ص 6-7.

<https://tinyurl.com/yhp6c8pd>

فلست أملك إلا القميص

الذي فوق جلدي¹

وأشير هنا أن النواب رفع الحظر المفروض على بعض العبارات أو الكلمات البذيئة التي يرفضها الدين والعرف الاجتماعي، مكرراً لها بلا تعداد أو أي حرج، مثل: أولاد القحبة، مومس، سحاق ولواط وغيرها.

ثالثاً: المدنّس وصوره

2. المدنّس الشخصي

أ. الحكام والساسة العرب

تأتي شخصية الحاكم العربي في النص الشعري المظفري ذات حضور واضح بارز بصورته السلبية؛ كونها الطرف الآخر المناقض له. ويندرج تحت المدنّس: الحكام الأغنياء الضعفاء الجبناء/ الساسة/ تجار الدين والقضية الثورية.

إذ يطرح الشاعر مسميات عديدة لهم، ترتبط تارةً بالمدنّس والفعل الدنيء، وتارة أخرى، تكن ذواتهم المدنّس نفسه، فيقول في قصيدة "عبد الله الإرهابي" عن أمنيته بثبات عبد الله على قرار النار حيث لا مفرّ منه:

"ماذا سيضيفك المنحطون

سوى دائرة أمن وحاتة ليل ورصيف"²

فضيافة قليل القيمة تكن أقل منه، هذا دليل استقهام النواب هنا، إذ لم يُقدّم لك -أي عبد الله- الحكام العرب سوى دائرة السنين والجيم، والأرض مفترشاً، لذلك عليك الاستشهاد ثم الاستشهاد كخيار ثان.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص 513.

² نفسه. ص 482.

ويطالعنا بتسمية أخرى لهم: "إن الحكومات في الشرق تسمية للملاهي"¹، أي أنها مرادف "للغفلة والترك"²، حيث تتنوع أدوات اللهو بالمتقف والمناضل والعالم العربي، كالنواب وغيره.

فهو يحطُّ من مكانتهم العلية بتشبيه إياهم بالخذاء-موضع القدم-كعلامة على انتمائهم للعالم السفلي/المدنس، فيقول:

"والحاكمون الخصايا هم العرب العاربة

حاكم طوله وكرامته دون هذا خذائي

ويضرب طولاً بعرض هو الصفر"³

مدنساً الجنس العربي، بقوله:

"آباء الغرب المحترمين

سلاماً

نحن النجس الشرقي جننا

لنقدم هذا الشكر لكم"⁴

يتحدث الشاعر بضمير المتكلم دال الجمع، ناعناً الذات الجمعية الشرقية بالدنس/النجس، ويكمل التساؤل عن "نحن" قائلاً:

"مَنْ أولئك

قَدْر

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص111.

² ابن منظور: "لسان العرب". ص259.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص378.

⁴ نفسه. ص559.

نجسٌ شرقي

حاشا قَدْرُكَ

يا ربَّ رؤوس الأموال

فنحن النجسُ الشرقيُّ

تراب

أتفه من أي تراب¹،

إذ ربط النواب القذارة بهذا النجس الذي ابتدأه نكرة ثم عرفه، عاقداً مقارنة بين مكانة الشرق الرخيصة الوضيعة التي ينتمي إليها، وبين مكانة آباء الغرب-رب المال-الرفيعة التي يأتونها الحكام العرب على بلادهم.

ويظهر الرخص في الحكام العرب، بقوله: "هذا النجس الشرقي رخيص"²، فسبب تدنيته لهم، أسئلته هنا، فيقول:

ماذا يدعى أخذ الجزية في القرن العشرين؟

ماذا تدعى تبرئة الملك السفلس في التاريخ العربي؟

ولا يشرب إلا في جماجم أطفال البقعة³

لذلك يدعو النواب عليهم بقوله:

"إياس/ يا سيد الموقف/ اعصف/ دمر/ طهر الشعب من لعنة الجبر"⁴.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص559-560.

² نفسه. ص565.

³ نفسه. ص102.

⁴ نفسه. ص374.

ب. الحكام غير العرب

يظهر التناص الديني كثيراً في أشعار النواب، كونه يخدم نصه السياسي بالمنطق،

فيقول في "قصيدة من بيروت":

"يا جيفاً يا نتنات

أين دياناتكم

أين عقائدكم

يا بهائم

إنّ البهائم ما نهبت بعضها

يعقوب راقب بنيك"¹

يستنكر الشاعر ما هي العقيدة أو الدين الي تمت به جرائم بني إسرائيل في لبنان،

فهم ليسوا جيفاً فقط، وإنما تنتشر منهم رائحة القذارة.

ففي مملكة الحيوان يساعد الواحد الآخر بدافع الغريزة الحيوانية، لكنّ النواب يقرُّ أن غريزة النهب والسلب حلّت بين الإنسان وأخيه، فنفس يعقوب أعلم بنية أولاده، والنواب كذلك أعلم لمّ دنس الإنسان المخلوف للعمارة؟

فالنواب لم يجد فيهم-بني إسرائيل-ميزة سوى أنهم اعتادوا قلب الحقائق، مشيراً إلى الانحطاط العالمي الذي وصلوا له، فيقول عنهم:

"في الأرض

ملك صهيون يدان

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص325.

أضيء

أيها المشهد المتواضع

للحطة الأدمية

خبير

بأن النفايات

كان فقراً شريفاً

يكدُّ

ويطعم مبرزه من جياع"¹

فيظهر النواب حقيقتهم بأسلوب التهكم والسخرية، كأنه مذيع ينشر الأخبار، وينقل نظرة العالم لبني صهيون، أنهم فقراء يحتاجون وطناً، فحنّ العالم عليهم فقدم فلسطين لهم.

فالحجاج وأبو سفيان وكيسنجر والسافل فورد والتجار الكسبة يمثلون المدنّس الشخصي عنده، ويظهر النواب الدناسة والنجاسة عند الحكام في مظهرين في أشعاره:

ألقاب المدنّس الشخصي

على الرغم من اختلاف دلالة الحيوانات في مختلف الثقافات الإنسانية من حيث فائدتها أو ضررها، إلا أنني كباحثة أتقيد بما هو معروف في الثقافة الإسلامية والعربية بمختلف بلدانها، كون النواب ابن بلده أولاً، وثانياً: لم تظهر أشعاره التأثر بأساطير الغرب مقارنة بدنقل والسياب وقباني وغيرهم؛ لذلك التزمت بقراءة الحيوان عند العرب.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص332.

فالنواب ذكر الحكام والساسة بألقاب يملكونها ويرأها فيهم، فعندما تبدأ الإجراءات التمهيدية لكل قمة عربية كما يرويها الشاعر لنا، بعد تضييعهم للأوطان، فيقول:

"إذا كان ترصاه يوماً

قرادُ الحلولُ

هرمت

في مصافحة الظلم

كفُّ

فمن سوف

يرمي بها للكلابِ

وأحسب أن الكلابَ

تقيُّ لفرطِ نجاستِها

لا تخونُ الكلابُ

ولا تتباهى بفرطِ خصاها"¹

يعقد النواب مقارنة بين الكلاب البشرية والكلاب الحيوانية، ويقف على ركنين أساسيين للمقارنة، الأول: الظلم والثاني الخيانة، فالحيوان لا يظلم ولا يخون ويبقى حافظاً لصاحبه وفيماً له، على النقيض من البشر تخون وتجور، والمشارك بينهما النجاسة على حدٍ سواء.

ويتبع هذه الصفة بنعت يزيد قدارتها، فيقول الشاعر:

"تشكر همة أعضائكم الجنسية

¹ قصيدة ووقف بين المساوات ورأس الإمام الحسين. <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>

في صدِّ الهجوم الجيش الإسرائيلي

وإلقاء الصمت على المغتصبات

نشركم يا فضلات"¹

ويقول في موطن آخر:

"سيدي تمَّ غنائي

إنما عتب صغير

لمَ لم تجعل لبعض الناس أشكال حمير

فتريح الناس منهم"²

فالنواب يقرُّ بالآتي: أنَّ الحمير خلق قبيح، ليس فقط بالصوت، وإنما بالخلقة أيضاً؛ لذلك يطلب من سيده-أي الله حسب القصيدة-تغيير خلقه لبعض الأشخاص؛ ليصيروا حميراً.

فطلب النواب المسخَ لحاجةٍ أوضحها، وهي راحة العباد من بعض العباد، والمسخ هنا يقتضي تغيير المقدَّس الشخصي العام-الناس/الإنسان إلى المدنَّس الحيواني-الحمير. فـ"الإنسان لا يمسخ على صورة كريم، وإنما يمسخه الله على صورة لئيم، مثل الخنزير ثم القرد"³. فالحمير معروف بـ"حملة الجهل والغفلة وقلة المعرفة وغلظة الطبيعة"⁴.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص474.

² نفسه. ص494.

³ الجاحظ،: "الحيوان" تحقيق عبد السلام هارون. ج4. ط2. مصر. مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. 1966. ص100.

⁴ نفسه. ص38.

أما في قصيدة قِيمَمَ، أدخل النواب عالم الحيوان في قصيدته مدلاً بها على عالم البشر، وخصوصاً (الملوك والشيوخ وخدمهم) كما ذكر في آخر القصيدة، ثم أضفى ألقاب الحكم والقوة على كل حيوان، وذلك له دلالات، فيقول:

"جلالة الكباش

على سمو نعجة

على حمارٍ بالقدم"¹

ويكمل قصيدته المسرحية هذه، حتى قال: "شخت الذمم"²، إذ تقف الباحثة في القصيدة المذكورة على قضيتين:

1. الألقاب المنسوبة ودلالاتها: حيث يحمل معناها اللغوي الرفعة والقدرة العظيمة، إذ أطلقها الشاعر على المقدس الشخصي كما ذكرت الباحثة سابقاً، في حين ازدرى النواب من معناها لنسبها لحيوان لا حيلة له ولا عز عند العرب وغيرهم في هذا الموضع، وبالتالي قلل الشاعر من قيمة المخاطب.

2. قضية الذمم: فالشاعر العربي-النواب-يضع فساد الأعراب على حكاهم وذمتهم الواسعة وفي المقابل يبول عليهم.

وفي قصيدة تل الزعتر، يقول فيها:

" قبل القمة اتهم الماموث النجدي وتابعه

ديوث الشام وهدده

قاضي بغداد بخصيته

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص540.

² نفسه. ص542.

ملك السفلس حسون الثاني

جرذ الأوساخ المتضخم في السودان¹

ثمَّ يدعو الله متوسلاً له:

"يا رب كفى خجلاً

يا رب كفى ثيراناً

يا رب كفى حكام مثقوبين²

وفي القصيدة ذاتها، يخيل للقارئ مشاهد يوم القيامة/تجربة الجنة والنار، وكأنَّ النواب الرب الأعلى الذي يقول اسحب هذا، والقيه في جهنم، ثم اتبعه آخر لسيء اقترفه، قائلاً فيهم:

"ها نحن نمد صراطك

بين ضحايا تل الزعتر والدامور

ونحضر كل القردة

قردة أتحدى أن يرفع منكم

أحدٌ عينه أمام حذاء فدائي³

إذا أكَّد على انحطاط نسبهم، بأن كرر نعت القردة لكل ما يخصهم، فيقول:

نغلق أبواب الوطن العربي على الحكام القردة"

سلطات القردة

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص556.

² نفسه. ص561.

³ نفسه. ص562.

أحزاب القردة

أجهزة القردة

كلا...؟ أشرف منكم فضلات القردة"¹،

لم يكتف النواب بمناداتهم بالدنس، وإنما أصرَ على وجود الشرف في فضلات القردة التي لا حول لها ولا قوة، وانعدامه في الأدميين من الحكام.

والقرد مضرب للمثل في الجبن فقيل: "أجبن من هجرس/أي القرد لأنه لا ينام إلا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب"²، مبرراً نعتهم بالقردة، كونهم عبثوا في كل الشريف ليصبح مثلهم؛ فينتساءل:

"فكيف يكون الإنسان شريفاً

وجهاز الأمن يمد يديه بكل مكان

والقادم أخطر"³

وكذلك نعتهم "أبناء الكلب"⁴، كل هذه الألقاب الحيوانية هدفها، إضاعة وزن وحجم المخاطب الحكام/المدنس، وبنفس الوقت تمييع صورتهم الكاذبة.

ويورد النواب في المقطع الآتي:

" في البآخرة، خنازير الخليج يبيعوننا

والذين هنا يمسحون قذارتهم بالقروض

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 573.

² الجاحظ: "محاسن الأضداد". صححه أحمد الجمالي ومحمد الكتبي. ط1. القاهرة: مطبعة السعادة. 1906. ص 53.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 497.

⁴ نفسه. ص 546.

لقد تمَّت الدائرة

لمن في الظلام الدماء؟ سؤال يلح¹،

مشيراً إلى وسيلة نقل النفط الأولى عند العرب البائعين (البأخرة)، إذ يخفون وسخمهم/دنسهم بمحرم-القروض، مما يدلُّ على زيادة الدنس بسلوكهم المنحل هذا، فلم يستتروا يستر الله على فعلهم المدنَّس، مما جعل النواب يجاهر بفعلهم نافرأ منهم؛ لأنَّه يتساءل حزينا: أين دماء الثورة التي أزهقت؟ ولأجل من ذهبت؟

لم يستثن النواب أحداً من حكام المحيط والخليج، فهو يذكر هنا حاكم السودان النمري أيضاً، بقوله عنه: "والخرطوم تذيع نشيداً لزجاً/ يحمل رأس ثلاثة ثوريين/ ووجه نمري منكمش" كمؤخرة القنفذ/ أين ستذهب يا قاتل/ يا قنفذ²، مناديه بالقنفذ القاتل المنكمش على ذاته؛ إما تحسباً لخطر محقق به، أو لربما خجلاً أو مقهوراً من فعله الشائن الإجرامي.

فالشتم الثقيل مكرر في أشعار النواب، مصرحاً عدم خجله بهذا الكلام، فيقول:

"أولاد القحبة لست خجولاً حين أصارحكم بحقيقتكم

أنَّ حظيرة خنزير أظهر من أظهركم"³

إذ معروف عن الخنزير أنه لا يغار على أنثاه، ويحمل النجاسة كونه يتغذى على الجيفة، ويوصف أيضاً بـ"بالشبق، فإذا كان الزمن هيجان الخنازير طأطأت رؤوسها وحركت أذناها وتغيرت أصواتها، وهو أروغ من الثعلب"⁴، فالشاعر يظهر المقارنة بين أولاد القحبة والخنزير من حيث الطهارة والعفة بوضوح، ثمَّ يتلوه بمقارنة أشد قوة، بين أظهر واحد منهم وبين حظيرة خنزير، فهو لم يكتف بواحد، ولم يذكر الجمع خنازير، وإنما جاء بالمكان النجس (حظيرة)؛ ليبين

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص207.

² نفسه. ص244.

³ نفسه. ص98.

⁴ الدميري، كمال الدين: "حياة الحيوان الكبرى". دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة. 1992. ص50.

حال ساكنها، مختصراً القول الفاحش عليه، إذ جعل الشاعر الدنس الحيواني أقدس المقدس المكاني والحيواني.

فذكره الحكام العرب باسم حيوان دليل لعنته عليهم، فهذه الحيوانات رموز تمثل الصفات البشرية المدنسة، وعلاقتهم بهذه الحيوانات علاقة فعلية؛ فكلاهما يتصرف بنجاسة، فالأسماء التي أطلقها النواب عليهم هي في الأصل حيوانات نجسة، فيكتسبون منها الصفات فتحل فيهم.

والشاعر لم يخجل من مصارحته لهم كونه مدركاً لقوله، في المقابل يطلب منهم الاكتفاء من الخجل الجبان، فكيف لا يخجلون من ذواتهم الدنيئة؟ وكيف يفعلون ذلك دون خجل؟

صفات المدنس الشخصي

1. جاء النواب على تدنيس نسبهم/ المقدس العربي-أي جذورهم؛ لأنهم سجناء الماضي، كونهم يفخرون بزخم ماضيهم المجيد (الغرور القومي)، ويدعون المشيخة، باعتبار ذواتهم أولياء الله بالحق، بقول واحد منهم:

"والله أنا الشيخ بن الشيخ/ حفيد الشيخ/كفى هذي الخاء الوسخة/ تشتافك نارُ الله"¹

وفي قصيدة "القدس عروس عربيتكم" يدين النواب دم العروبة الذي يجري في عروقهم، وكذلك بطلان شرعية حكمهم بالوراثة، ف"الحكم للاحتكار المنسق"². فهو القائل أيضاً:

"افتحم

ذئب خزي بلحم الجماهير في مصرنا يهتدم

أبشع العهر عهر هرم

ما غريب يقبل دعر عزيزته

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 563.

² نفسه. ص 115.

نسب سافل ينتحم¹

إذ يقول في قصيدة "قتى اسمه حسن:

"وتصعد رايات أبي عبد الله العطشى

صارخة بالدم على أيام يزيد ودعارة لياليه"

فالنواب يدنس هذا الماضي، ناسباً الدعارة والسفالة لهم، ويجعله متصلاً بعلل يوضح فيها لم

دنس هذا الماضي، هذه العلل، هي:

أ. أنهم يغالون في مدح ذواتهم.

ب. يضيق صدرهم من النقد.

ويقول أيضاً:

"فهذي الشرازم ملعونة الأبوين

على عهرها شدت الأحزمة

من جلالته بالحجاز

يزج بكل أذان إلهاً

إلى خير الأنظمة²

فأي نوع من الآلهة يقدمها الساسة العرب لتجلب الديمقراطية والحرية للشعوب من بلاد الغرب؟

¹ من قصيدة اتهام <https://tinyurl.com/yzxtzn4e>

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص374.

2. ينكرون على الفقراء المطالبة بحقوقهم المشروعة؛ كي لا تتخذش ديمقراطيتهم، فيستضعفون قومهم، لذلك لا نصر لهم ولا معين، فيقول النواب:

الذئاب هم قادة القافلة"

فإذا أكلوك لعشق قضيتهم

أو أكلوها بدعوى لأجلك ما المشكلة

نحن في سلة المهملات إذا انتصروا

وإذا هزموا حملونا هزيمتهم كاملة"¹

فـ" لا قدست أمة لا يؤخذ الضعيف فيها حقه غير متعنت"² ولا خير فيهم.

3. أنهم أصحاب الخطاب الغوغائي، فهم لم يتلقوا من النواب إلا النبذ والعار لأفعالهم، فيقول فيهم:

"متى تنتهي

كل هذه الفوازير

والنشرات الرخيصة

والمخبرين الغلاظ الوجوه

كأنهم مؤخرة

لمريض يوسخ من تحته

ويقولون تسكر

¹ قصيدة اتهم. <https://tinyurl.com/yzxtzn4e>

² ابن ماجة: "سنن ابن ماجة". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط2. بيروت: دار الفكر. ص810.

قلت بخمري

ورغم اعتراض المواخير

طولاً و عرضاً

عجيب حجار المراحيض

يظهر طهراً¹

إذ يناقش النواب في هذا المقطع الموضوعات والمناقشات والإعلام الذي يتناقله ويتحدث بها رجال السلطة المدنسون، فبين أن أفواههم أصبحت مؤخرة، أي أن كلامهم فيه الوساخة والفساد والقذارة اللغوية، فالمدنس مريض عاجز عن مساعدة ذاته في المرحاض، كثير الشرب لا أحد يحاسبه على ذلك، في حين أن المدنس يحقق مع النواب على الدوام في تهمة الشرب، متعجباً من قوة هذا المدنس العاجز الذي يتظاهر بالطهر وهو قمة النجس، يريد محاسبة الآخر المقدس.

4. لهم الجواسيس والأعين التي تكتب التقارير؛ ليخبروا بها سادتهم، إذ خص قصيدة "بالخمر وبالحزن فؤادي" لذكر تتبع مخبر حكومي لخطواته، قائلاً فيه:

"أنت وتقريرك وراتبك يا دوب حذاء"، ويتابع عدم إعجابه غير المقصود بوجه المخبر، فيقول:

اكتب ما شئت

بما شئت لمن شئت

ولكن وجهك للحائط

أرجوك

ليس لشيء

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص112.

تشكيلاً وجهك لا تعجبنى

عفوك لا أقصد

جرحك في شيء

هل ظلّ هناك ما يُجرّح؟

ولكن خطأ خطأ في وجهك

يا رب لماذا الأخطاء؟

فالشاعر ينكر الحكم العربي بحكمه على كاتب التقارير ووجهته العليا أنهم كاذبون. فالشاعر يعدّ خصوصيتي المخبر المادية (الراتب، وتقديره الإخباري) أقل من قيمة حذاء يلبس، ثمّ يحاور الله الذي يعتبره النواب مقدسه الأعلى أنه أخطأ في خلقه لأناس كثير، مستنقلاً وجودهم في حياته.

5. الحكام فيهم الشرك والفسوق والعصيان، فهم حريصون على الجاه والمال، مما يقضي على الحياء والمروءة فيهم:

"هل ترجو من الرحم الذي لقحه المال اليهودي

طهوراً في الطمّث

نجس كل ولا فرق سوى

لهف الأول بالجملة أوساخاً"¹

وأشارت الباحثة في الفصل الأول في وصف الشاعر لهم، أنهم يساكنون البغايا باستمرار ومتلبسون بالزنا على الدوام، فيقول:

"يا رب كفى بقرّاً

يا رب كفى حكماً مثقوبين

¹ قصيدة طليقة ثمّ الحدث: <https://anfasse.org/51-2010-11-18-11-31-15>.

وكل فقير يحمل سفودين

تعالوا فقراء الأقسام جميعاً

نفتك

نمسح أصباغ المومس"¹

وكيف جعلوا صغيرة عربية /مدنسة بفعلهم الاغتصاب، وهي المقدسة المعروفة "بالحررة في
العرف التاريخي والمجتمعي"².

فالأمر الدنيوية الدنيئة/ الموبقات التي يقومون بها، أظهرها النواب في شعره، مكررا إياها
كثيراً، وهي:

أ. هنك شرف الأوطان: حيث أوضحت الوتريات التدنيس المعنوي للعرض العربي والبيكاره
الفلستينية/ القدس.

ب. الخيانة: بدا النواب كاشفاً لخيانة الحكام العرب لجيوشهم، في جملة أشعاره، فيقول:

"ورأيناهم ناموا في الجيش الآخر

والجيش يحارب

وبحثنا عنهم كالمبغى"³

فالشاعر يرى أنّ الحكام واقعون في وحل المحذور/الخيانة، حتى أصبحت هذه السمة متفشية
فيهم حدّ الإشباع، فيقول:

"آه من الجبّ في الأمة العربية آه

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص568.

² الصبح، رائد: "تقدّيس المدنس في الشعر العربي المعاصر". ص96.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص428.

ها واقف في العراء أدونهم

حطموا رقماً في الخيانة

أجمعهم وأحاكمهم باسم عشرين ألف دم"¹

أ. الجبن: تعوذ النبي -صلى الله عليه وسلم- من الجبن، قائلاً فيه: "هو من الأخلاق الرذيلة"²
فبيعد النواب ثورة الشعب عن الجبن والجناء، فيقول:

"فما يلبس حق نصف رداء

ليس مقاتل من يدخل نجد بأسلحة فاسدة

أو يجبن

فالثورة ليست خيمة فصل للقوات

ولا تكية سلم للجناء"³

فالمقاتل طريقه الثورة والمعركة، أما الجبان لا يغزو؛ لأنه يبغض الموت على فراشه دوماً.

ب. الرياء: يظهر النواب في أشعاره التظاهر بالدين أو الإحسان وهي سمة للمدنس/ الحكام العرب، فيقول: "تتقنع بالدين وجوه التجار الأميين"⁴، وكذلك "لفت العمامة زيفاً على القبعة"⁵، فعند "الإغريق أن للتجار واللصوص والخطباء والساسة رباً واحداً، وهذا الرب اسمه: عطار، عنده القدرة الفريدة على أن يظهر ويختفي، فهو قادر على أن يخدع ويكذب

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 340.

² السعدي، عبد الرحمن: "القول السديد في مقاصد التوحيد". الرياض: الرئاسة العامة للبحوث والافتاء. 2013م. ص 115.

³ قصيدة بيان سياسي. <https://tinyurl.com/yege38jw>

⁴ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 101.

⁵ نفسه. ص 139.

ويخالط ويقنع ويبهز ويسرق، وشعاره "أن يدخل قلبك ويسرق قلبك"¹، فالنواب يرى هذه الأفعال مجموعة في شخصية الحاكم العربي.

فهم مجبولون على الذل والخضوع، مصارحاً-علي رضي الله عنه-بذلك، إذ يقول له:

" أنبيك علياً "

ما زلنا نتوضا بالذل

ونمسح بالخرقة حد السيف

ما زلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف"²

وتشي جميع الأبيات السابقة بعالم الشاعر الرافض للآخر السلطوي، ورغبته الملحة بالثورة أو ما يسميه التخريب الذي يحركه نحو المطلوب، فالتخريب في ثقافة الشعوب هو فساد وليس إصلاح، لكن في نظر النواب هو الثورة العارمة العبقريّة الضاربة، ولا شك أن النواب مع الذين حظروا الفساد وأباحوا الحرية والصالح من خلالها.

خلاصة المدنّس الشخصي

تكلم النواب في سبب تدنسه المقدّس الاجتماعي/السلطة والحكام، فذكر سماتهم وشواهد تدنيسهم والنتائج المترتبة على وجود حكام عرب وغير العرب منبعثين من العالم الدنيوي، وحال أشعاره بالمجمل يسأل فيها: ما أكثر الدنس المتصدر عن هؤلاء المخازي؟ وماذا تبقى من دناءة الفعل باسم خاء المشيخة؟ ومتى سينتهي كل هذا؟

فالنواب لا يفتعل قوله عنهم افتعالاً؛ لأنه جزء من نسيج فكره، بمعنى أنه يكتب ويتكلم بهذه الكيفية (كيفية الكلام الثوري) الذي لا يكون بالتملق والمجاملة لحاكم ما. فلم يخف من الحكام لا

¹ منصور، أنيس: "هموم هذا الزمان". ط1. القاهرة: دار الشروق. 1992. ص37.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص109.

عقلاً ولا قلباً، لذلك أظهرت تقنيته الشعرية الصراع الطبقي الاجتماعي والسياسي السائد في بلاد العرب بصورته الواقعية الصادقة.

فأفعال الحكام النجسة والضالة-هتك العرض/ الخيانة/ الجبن/ التبعية/ الخسة/ النذالة-السفالة- هي التي جعلت الشاعر يدينهم، ويظهر مكانة المقدس الثوري على أنه الأقوى والأقدر.

فالشاعر بعد كل قول له عن دنس الحكام والملوك، يلجأ إلى حوار الله ومناجاته، بعلاقة تبين أن النواب ينتقل من عالم المحسوسات إلى عالم الملكوت /الروحانيات، فتارة يسأل أسئلة تحيلها الباحثة لنفس مظفر، إذ يسأل:

أما تستحي أنت يا رب؟، و

"هل تاب الخالق من خمر الخلق

ومسح كفيه الخالقتين لكل الأوزار الحلوة"،

وتارة يأخذ بندائه ليكف الخجل، قائلاً: "يا رب كفى خجلاً؟ وتارة يكرر الأمر عليه بأن يغضب على الملعونين/المدنس.

وبذلك قد يكون النواب تمرداً على الله شعراً وليس عقيدة؛ قهراً من واقعه، أو قد تكون علاقته به في تلك الأشعار عنيفة، فكانت هذه العلامات/الأسئلة السابقة ضرورة تبيح له الخروج على المحظور.

2. المدنس المكاني

قد أشارت الباحثة إلى سؤال يلح في نفس النواب، وهو:

هذا وطن أم مبعي؟ والوطن عنده يدل على العراق تارة والوطن العربي تارة أخرى، وقد أبدى حزناً وحباً عميقين لهما، لكن بسبب ما تراءت له عيناه من دنس القيادات، أخذ يدينه بقوله عنه مبعي.

فيأتي النواب على توضيح تدنيسه للدولة العربية، وكذلك المدينة السارقة للفرح البشري، فيقول:

"وطني أنقذني

من مدن سرقت فرحي

أنقذني من مدن يصبح فيها الناس

مداخن للخوف والزبل

مخيفة

من مدن ترقد في الماء الآسن

كالجاموس الوطني وتجتر الجيفة"¹،

فهل هذه مميزات مدينته المنتظرة؟

إذ أصبحت المدينة في نظره مكاناً لزرع الخوف الأسود، وكذلك الفرع، حيث يصبح البشر فيها أمواتاً أو أحياءً جنثاً مطلة تستخدم لإصلاح الأرض.

ومن المدن العربية التي دنست في أشعار النواب:

أولاً: مكة

يقول النواب فيها:

"كان المسيح فوق النهر يغسل صلبانه

اغسلوا كعبة الله من الآثمين

قبيل رحيل محمد من قبره في المدينة"²

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب" ص 163.

² نفسه. ص 322.

إذ يأمر النواب الشعب بغسل مكة/ المقدّس الديني الإسلامي قبل قيام الساعة وصعود سيدنا محمد إلى السماء العلا، حيثُ صارت مدنسًا بفعل الآثمين-أي أصحاب الذنوب/ المدنّس الشخصي-فهو لم يدنس الكعبة لذاتها. بل يخافُ على اختفاء قداستها؛ لذلك طلب غسلها.

ويرى النواب في النفط ضالة حكام الخليج، فهم محكمون ببيعه، كونه وسيلة بقائهم، إلّا أنّ النواب نسبه لابن الكعبة، قائلاً:

ما أعظم ما صنع النفط العربي بنا

نتجشاً حتى التخمة جوعاً

والمكّ النفطى يخاف على النقد من الفئران

وهذا الغرب بكل تكامله وتفاضله الذريين

وعلى النفط جميعاً يجمعنا

وعلى النفط يذبنا

يحيا النفط"¹

فالشاعر جوّز نسب المدنّس/ ابن الحاكم العربي لهذا المكان مقدس/مكة، لكن النواب يصرُّ على تكرار تصريحه هذا، ويترجم فعل النفط، فإنّ استخدم في الثورة أي في المكان المناسب أصبح رمزاً للقوة العربية، فيقول في النفط:

احشدوا النفط

فالنفط يعرف كيف يقاتل

حين تطول الحروب"²

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب" .. ص 571.

² نفسه. ص 388.

وفي حال استخدم لتكامل الغرب والعرب أخذ يشكل رمزاً للسخرية القاهرة بأنَّ النفط سيعيش
لنموت نحن-الشعب العربي.

ثانياً: بيروت

يقول الشاعر في معاناتها السياسية:

"أيها الفحل مزق شعرها الليلي

فقد خرجت للبعاء مسلحة

صبغت وجهها بكل اللغات

وأعلن كل الأزقة فقد راودتها

على نفسها الملوك المواخير

فقد كتبوا نعيها في بياناتهم

تركوها تعاني مخاضاً

من المرض الهمجي بأصلاهم

من شيوخ الخليج زنت

من شيوخ الحجاز زنت

من شيوخ اليسار

ثلثه في اللسان

وثلاثاه عند اليمن زنت

كل بارقة لفتحها

وبعض السفارات قد واقعتها سحاقاً¹

ففي هذا المقطع يتم إظهار بيروت بغية، بدءاً من النداء للفعل بأن يمزق شعرها، ثم إبراز مفاتها بصبغ وجهها، حتى يظهر الحقل الدلالي للفاحشة مكرراً في كل سطر (للبغاء/ راودتها على نفسها/ زنت/ لفتحها/ واقعتها سحاقاً)، حتى تغيرت، و أصبحت مدنسة بالزنا، الذي مارسه جبراً مع الآخر المدنس القوي (شيوخ الخليج/ شيوخ الحجاز/ اليسار/ وسفارات الغرب).

فالزنا الذي ذكره النواب عنها هو: زنا اللسان/ الكلمة/ اللفظ، فجرائد وصحف قاداتها أعلنتها زانية مية، فأخذ المحيط العربي يقذفها بشرفها الثوري، حتى أن بعض سفارات الغرب تطولت عليها، ولكن بيروت ستبقى حرة، بيد أن الشاعر دنس المقدس المكاني بمدنس لفظي فقط، ليشرح حال العالم العربي والغربي في بيروت عام 1982.

وتقف الباحثة هنا على نسب فعل الزنا المحرم/ الدنس للشيخ، ولفظ الجمع الشيوخ يعني لغويًا" الشخص ذو المكانة في العلم والإدارة والفضل ورياسة"²، فيتضح أنض الشيخ قيمة (رمزاً) للفضيلة المحمودة، لكنّ النواب نسب إليه الزنا فدنسه لأنّ الشيخ اتخذ من الدين غرضاً لـ"حماية أموال و ثروات الأغنياء"³.

فالمندس الشخصي على اختلاف مسماه يرى المنكر في حضانة بيروت للثورة، لذلك لم يمسكوا ألسنتهم عنها، على الرغم من مخاضها الأليم "عشرين ألف قتيل"⁴، منتظراً النواب قيام الساعة ليحاسبهم.

أما عن المدن الغربية، فذكر دنس أمريكا، قائلاً:

"شهوة نحرت بتجاه أمريكة"

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 337-338.

² أنيس، إبراهيم: "المعجم الوسيط". ص 528.

³ منصور، أنيس: " زمن الهموم الكبيرة ط1"، القاهرة: دار الشروق. ط1. 1999. ص 28.

⁴ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 339.

سبعاً وسبعين في لحظة

وتوضاً مجرمها بالدماء

وصلى إلى قبلةٍ مثله مجرمة¹

يتحدث عن الفعل السياسي الحاصل في السبعينات في الحرم المكي، وهو تمرد جهيمان العتيبي على قيادات الحرم، فالوضوء لغة لا يكون إلا بطاهر مثل الماء أو التراب، ولكن الشاعر جعل الوضوء على خلاف ذلك بالدم، وهذا يتفق مع لفظ المجرم الذي مهنته القتل. والسؤال المطروح: هل القاتل يتوضأ ويصلي؟

فالشاعر جمع بين الحاكم العربي والحاكم الغربي/المدنّس بصفتي القتل والإجرام، إذ ركز على الأول في المقطع، مبيناً لما دنسه؛ فقتله جاء نتيجة شهوة سياسية، هذا المجرم توضأ بدم جهيمان، ثم صيرّ قبلته إلى مدنس مكاني/أمريكا مغيراً وجهته الحقيقة "مكة"، فأمريكا في نظر الشاعر هي:

"أمريكا هي الكفر"

وأمريكا ومن سوف هنا (حسني) الجنائي

ففي سوف صراع لم يحن

أجلته...استعجلني

كان يرى الأرمات والأوساخ والأبواب لا الطوفان²

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص374.

² قصيدة "طلقة ثم الحدث": <https://anfasse.org/51-2010-11-18-11-31-15>.

3. المدنّس الزماني

التغيير الذي ينادي به النواب لم يقتصر على الإنسان أو المكان، وإنما أدخل الزمان في دائرة تقديس المدنّس وتدنيّس المقدّس، فيقول:

"لَعِنْتَ زَمَانًا"

خَصِيَ الْعَقْلَ فِيهِ

يَقُودُ فَحُولَ الْعُقُولِ"¹

لم يفلح النواب في التعامل أو التوافق مع السلطة الحاكمة/ وكذلك الحزب اليساري المنتمي له/ والآخريين الخائنين، لذلك حلَّ لعنته على الزمان الذي تقلب به الموازين، صاحب العقل المخصي فكرًا/ المدنّس/ الرذيلة يترأس موكب أصحاب العقول المفكرة/ المقدّس-الفضيلة.

وهذا الزمن هو نفسه زمن التقاعس والهزيمة، فيقول:

"وقد يعلق الخيط بمدخنة لرخيص قديم

فيحفل من رقة الخيط

هذا زمان دنيء كنيب

وأخجل أسحبُ خيطَ حدِّ الهزيمة"²

ونلاحظ تصوير النواب البلاغي لهذا الزمن بالخيط/دلالة امتداده وطوله، لكنه-أي الخيط-حافل بالرقة والدناءة التي لا تجلبُ إلا الخذلان لصاحبه، فخجل الشاعر أن يسحبه أكثر، فتتهار المدخنة الرخيصة والخيط على رأسه، إذ لا يريد الهزيمة.

¹ قصيدة "وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين". <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 257.

فأكثر الشاعر من البول على الزمن/ المدنّس، قائلاً:

"أبول على الشرطة الحاكمين

أنه زمن البول

فوق المنضد والبرلمانات والوزراء

أبول عليهم بدون حياء

فقد حاربونا بدون حياء"¹

يتصور للمتلقي هنا أنّ الشاعر في حالة استرخاء دائم، وشعور بالراحة المطلقة؛ لكثرة بوله على الحكام وتوابعهم/ المدنّس، لكن حديث النواب عن الحكام يحمل الهجاء، فالبول وزمنه يسبق هجاءه لهم في أشعاره، فقد يمثل له راحة نفسية يتسعدُّ بعدها لقول الهجاء، كون العيب فيهم وفي زمنهم.

لذلك أخذت "عقارب الساعة تعطي زماناً آخر/ غير هذا الزمن الرديء*"²؛ ليتمتد زمن الترددي العربي ويشمل زماناً آخر/ يكون ندّاً له/ هو زمن الثورة والتخريب.

4. المدنّس الحسي/ الأدائي

يورد الشاعر المقطع الآتي:

كما بددت فرحاً"

والخنازير تعبت

يا رب قد ملأوا فمهما بحشاء دنيء

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص111.

* الرديء: هو المنكر والمكروه والفساد، مأخوذ من: أنيس، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط". ص361.

² من قصيدة باب الكون للشاعر، إذ قالها في تشيع جنازة فدائي، طالباً أن يصنع من الحزن والألم زماناً آخرًا.

<https://tinyurl.com/yj3wyccr>

أما تستحي أنت يا رب منهم

لقد وسخوا الكون

فاغضب قليلاً

هلاّك قد جعلوه وعاءً لآثامهم¹

إذ قلب النواب دور ودلالة الهلال، الرمز المقدّس الديني عند المسلمين، إلى وعاء لأمّ الخبائث/ المدنس الحسي (أداة) الذي تسكب فيه آثامهم فيخفوها به، مما جعل التحول هنا يحمل دلالات أخرى:

أ. تحويل الحقائق الدينية الرمزية وادخلها الصراع بين المقدّس والمدنّس.

ب. استخدام الدين كغطاء لستر الخطيئة.

5. المدنّس اللفظي

يقول النواب:

" والمذيع المسائي يلقي النفايات مبتسماً

نشيد

فقرة من خطاب الرئيس العتيد

سورة الفاتحة²

يظهر تدنيس المقدّس بشكل آخر هنا، معتمداً الشاعر على سرد مشهد مألوفٍ عند المتلقي، وهو فعلُ قراءة المذيع لقائمةٍ من النصوص العربية-نشيد، خطاب الرئيس، سورة الفاتحة، وما كان

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص324.

² نفسه. ص362.

رد فعل الشاعر إلا أن دنس المؤلف اللفظي، وخرق النص الديني/سورة الفاتحة، حينما نعته بنفائيات يرتلها المذيع.

إذ يلفت النواب المتلقي إلى أمور بلاغية عديدة، تخرج من دائرة التشبيه وتدخل في إطار تدنيس المقدس:

أ. لم ينعت الشاعر النشيد بلفظ يوضحه، مثل: قومي أو وطني أو حربي أو ثوري، حتى أنه لم يعرفه في الأصل، وهنا دلالة على سخرية النواب من مادة الإعلام العربي.

ب. نعت الشاعر خطاب الرئيس بالعتيد، مع تلفظه بالنقيض لذلك في بداية قوله/النفائيات، فكيف يكون الخطاب نفائيات وعتيد في آن واحد؟؟؟

ج. وهل تمرد النواب على النص القرآني عندما دنس سورة الفاتحة؟

فكنز القرآن وأم الكتاب جاءت ضمن نفائيات المذيع اللفظية، إذ لم يمس النواب بالنص المقدس نفسه، وإنما قصد التدنيس لما يخرج من فم المذيع المُسيّر إعلامياً.

ويقول النواب في موطن آخر:

"يقولون شورى ألا سوءة

أي شورى

وقد قسم الأمر بين أقارب عثمان في ليلة

ولم يتركوا للجياح ذبابة"¹

يتصور المتلقي أن الشاعر يحطُّ من مكانة الشورى، كونها تحمل كل شيء في نظره، مؤكداً على تجنبها بالاستفهام عنها، فالشورى الفاسدة/المدنس اللفظي التي قسمت حياة المرء إلى

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص110.

عالمين (جياع وحكام ملوك)، لم تكن مشورة نجاة ولا تقويماً للاعوجاج في الرأي، على عكس ما هو مألوف عن "عظمة الشورى عند الشعوب وأهميتها كقاعدة للحكم الإسلامي والمشاركة فيه وكأساس لتدبير أمور الأمة"¹.

وبعد تحليل صور المقدّس والمدنّس المتعددة في أشعار النواب، تطرح الباحثة سؤالاً: من انتصر أو سينتصر في الصراع القائم بين المقدّس والمدنّس كما يرى الشاعر؟

يقول علي الخليلي في تكرار التجربة الشعرية والفكرة عند النواب، أنه: "تكرار هجين هابط فيه لا قيمة له ولا مدلول، سوى عقاب النفس وإذلالها أمام عدم القدرة في الوصول إلى لب الصراع"²، إذ يؤكد الأخير على دخول النواب دائرة الصراع على اختلاف نوعه الذي لم يستطع الخليلي تحديده، على العلم أنّ أشعار النواب فصيحة بالصراع الطبقي الاجتماعي وليس صراع الفكر والعقل، وبالتالي تحديد النواب جوهر الصراع وأطرافه.

فالجواب للسؤال أعلاه وارد في قصيدة "بيان سياسي" يقول فيها النواب:

"لن تضيع فلسطين لأجل سماسة الأرضين

وإن حمي الاستمءاء"

فالبطل في القصيدة كشف وجوه الطباخين-أي الأعداء-وبين وصيته للثوار؛ حتى لا يصبحوا ووطنهم أشلاء، فهذا البطل حسب دلالة السياق الشعري للقصيدة كلها، يكون النواب نفسه.

فالخلاص هنا للمنتصر/المقدّس الثوري بشخصه ومكانه وأدواته والمنهزم / المدنّس السلطوي بحكامه ونفطه، فيقول:

"وليس خلاص بغير الرصاص الذي علمته التجارب

لا بالرصاص الغبي

¹ حبيب، سعد: "الشورى في الإسلام". القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. العدد 189 / 1976. ص9.

² الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص19.

فتم رصاص و ثم رصاص تجني " 1

هذا الرصاص وسيلة لأن تصبح " الدماء هي الآخرة"، حيث يجتمع فيه دم قتلى العراق ومصر والناصره، وقتلى العرب الفقراء جميعاً.

رابعاً: تألف الأضداد بين المقدس والمدنس

تؤكد أشعار النواب على أنه إنسان تاريخي له عوالمه التي يكتشفها الباحث عنه، فانتماؤه "هو وطنه وعالم الإنسان الذي لا حدود له إلا للمحبة والعدل والسعادة للجميع"². وهو القائل: "أن الواحد منا يحمل في الداخل ضده"³، لذلك يؤمن أيضاً بالعالم اللاتاريخي، حيث البعد عن "الحياة الدنيوية ومندمجاً في عالم الروح والقداسة"⁴.

إذ أظهر النواب مقاطع شعريّة يجمع بين فيها بين المقدس والمدنس، والتداخل العميق بينهما، إما في الطبيعة والكون أو بداخل الإنسان/ المرء أو في المكان.

فقد يكون النواب محباً لمكونات النقيضين؛ ليُخرجَ منها شعراً فريداً؛ كون ذاته تقبلت الحياة والموت، الحضور والغياب، الاتصال بالآخر والانفصال عنه إلى الذات. وكذلك إيمانه أن الاختلاف فيه ائتلاف ولو بسيط.

1. تألف الأضداد بين المقدس والمدنس في الطبيعة

فيقول متعجباً من هذا الاندماج الخلقي:

"سبحانه ماذا

من الورد ناساً

¹ تفرغ ماجد بلالو: قصيدة "من دفتر شديد الخصوصية لإمام المغنين".

² عويّد، عدنان: مقالة بعنوان: "الإنسان التاريخي والإنسان اللاتاريخي". صحيفة المتقف. العدد 2874/ بتاريخ 2014/7/19م. <https://tinyurl.com/ygocp5bd>

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 123.

⁴ عويّد، عدنان: "الإنسان التاريخي والإنسان اللاتاريخي". <https://tinyurl.com/ygocp5bd>

ومن الأقدار ناساً

خلقاً!¹

فمن الاعتيادي، إيمان المرء بقدره الله المطلقة -المخاطب في الأسطر السابقة- على الخلق كيفما يشاء ومتى يشاء، فـ"ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا"²، فالاختلاف والتعدد موجود في الخلق، لكن المغاير في النص هنا، أن الشاعر نسب خلق القذارة البشرية لله، فكيف ذلك؟

فالخلق قد يكون طيناً أو ناراً أو نوراً، فلم يُخلق من القذارة شيءٌ، والنواب وظّف الورد رمزاً دلاليّاً للخلق القويم، في حين استخدم القذارة رمزاً دلاليّاً للخلق القذر(النتن/الوسخ)، وتأخير القذارة مناسب لمقام التعجب القائم على المقارنة بين الخلقين، فالخلق الأول مألوف وهو الأغلب العام بين الناس، أما الثاني قليل توأجه بين الناس.

ويأتي الجواب على السؤال السابق، في مثال آخر على الطبيعة المزدوجة، حيث يقول النواب فيه:

وسخُ طينٍ ينبتُ فلأ

إن لقيَ الحبَّ

وأطيب طين لا يُنبِت

حين لهذا الطين يساء³

فالطين الذي خُلق منه الورد والقذارة واحد لا اختلاف فيه، بيد أن النواب أوضح الآتي: أن "وسخ الطين/المدنس" يصير "فلأ/مقدساً" إذ لقي الحب والتألف، وهنا ينقل الشاعر المتلقي إلى

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص386.

² القرآن الكريم: سورة يونس. آية 19.

³ من قصيدة بالخمير والحزن فؤادي. <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4663>.

الحالة الأخرى، أن "أطيب طين/المقدس" يصير مدنساً حين يساء إليه، إذ نجد الانسجام قائماً بينهما مرتكزاً على الاحترام والجمال والمحبة الطاهرة "حيث الكمال النهائي"¹.

وبالتالي فقد رفع النواب المحسوس إلى مكانة المقدس/ القداسة؛ ليقدّم قيمةً جماليةً في التعبير الأدبي وإنسانيةً في طرح مبدأ التعاطف القائم على المحبة مع الآخر، ونبذ الوساخة بينهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يظهر النواب في تصويره هذا قناعته بأنه قد يولد من القبح جمال. إذ يتولد عند المتلقي الشعور "بجميل (الذكاء الأعظم/ الذكاء المقدس) كما يسميه راسكن ومنه الرهبة أمام الخالق"².

2. تألف الأضداد بين المقدس والمدنس في الإنسان

وتجد الباحثة التناسق بين المقدس والمدنس في النفس البشرية أيضاً، على اختلاف ظروفها، فيقول النواب:

"أولئك نحن

عظام

جمجمة

زبل

أيتام

لكننا نفتحم التاريخ

ونملاً عالمكم بالفقراء المشبوهين

سنقرع راحتكم بيتاً بيتاً

¹ أدونيس: "الهوية غير المكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ص 57.

² الموسوي، محسن: "عصر الرواية مقال في النوع الأدبي". ط1، العراق، بغداد، 1985. ص 61.

نخنقكم في اليقظة والكابوس

معاذ الله أثير رحمة أحد

إن إثارة حذاء أسهل من ذلك" ¹

فاخترق النواب عالم الأسياد/ العلوي بطبقته الفقيرة تحد صارخ لهم وللتاريخ، وهنا تطرح

الباحثة سؤالاً: كيف يتم الاختراق الممنوع بجسد فقير ضعيف وسخ؟

الشاعر ليس بغبي، فالفقير/المدنس بيئته وجسده الرث سيقنم عالم الحكام، فيصير بقوته الثورية

مقدساً، ولأجل ذلك يحق له هذا الاقتحام، فهو الخلاص المنشود في نظر الشاعر للتغيير.

ويشير النواب أيضاً إلى اجتماع وتحالف المقدس والمدنس في جسده العربي، بقوله:

"وتد عربي للثورة يا أنثى، جسدي

كل الصديقين وكل زناة التاريخ العربي

هنا إرث في جسدي" ²

فالطاهر المقدس/ الصديقون، كذلك المدنس/ النجس زناة التاريخ مجتمعان في جسد الثوري

العربي، معللاً ذلك التلاؤم بأنه إرثه. لكن كيف يكون ذلك؟

فالصدقون-أصحابه الثوريين وطبقته الفقيرة-مغروسون في وعيه وجسده، أما عن زناة التاريخ

فقد تواجدوا في جسده من خلال الآثار التعذيبية والندوب التي تركها المدنس عليه أثناء التعذيب،

فيكن هذا الأثر إرثاً يتباهى به النواب في سبيل قضيته العادلة.

أما عن دمج النواب المقدس والمدنس في شخصياته الشعرية، فتظهر في شخصية "عبد الله

الإرهابي" حيث تأخذ أفعاله دور المتحكم والموجه لمصيره.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص566.

² نفسه. ص159.

إذ بينت الباحثة سابقاً كيف كانت شخصية عبد الله الإرهابي مقدساً شخصياً، في المقابل وضح النواب أن عبد الله قد يصبح عبد اللعنة المرتبطة بالحكام العرب/المدنّس، إذ أخطأ وأطاعهم.

وتظهر المفارقة بين عنوان القصيدة "عبد الله الإرهابي" ومنتها، فدلالة العنوان التي تحيله الباحثة إلى الحقل الدلالي "الإرهاب" مغاير لمضمون النص، إذ يهيئ النواب المتلقي لقراءة أفعال فاسدة تخريبية إجرامية قام بها عبد الله، حتى يفاجئه الشاعر بتمجيده وبذكر بطولاته، ويرقيه من عثرات الخذلان والخيانة العربية.

ويشير النواب إلى عجيبة سياسية مخلوطة يخاف منها، ومن تداعياتها، فأظهر براءته من كل ما له صلة بهذه العجيبة، حيث يقول:

"ستجمعُ جنباً إلى جنب حوافر كل التيوس

على صفقة الأرض هذي

وربّ دعيّ شيوعيةٍ

سيصلي وراء اليماني في الحرمين

وليس كثيراً على سمة العصر

في أن تقول في التراويح بعد العشاء

تبرأتُ من كل هذا العجين"¹

3. تألف الأضداد بين المقدّس والمدنّس في المكان

أما عن تناسق الضدين في المكان، فيذكر النواب كيف تجتمع المروءة/المقدّس والجبن الذكي/المدنّس في فلسطين، وليس بخفي ما يعنيه النواب في كلا الطرفين، فهو يبين أن رأس فلسطين يموج بين الثوري والحاكم المستبد، حينما قال:

"يطافُ برأسك فوق الرماح

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص127.

ورأس فلسطين أيضاً يُطافُ به

في بلاد العروبةِ

بالمروءةِ

والعبرية بالجُبن " 1

وترى الباحثة أنّ النخلة مقدس نباتي مكرر في أشعاره، فوحد بين المقدس الأعلى /الله والمقدس النباتي/النخلة، والمقدس الأدنى/الفلاح البسيط.

4. قضية الوسخ والاختسال مثلاً

وفي قضية التآلف بين القطبين، وقفت الباحثة عند قضيتين هما: الوسخ والغسل أو الاغتسال منه، إذ وجدت الباحثة أن دلالة العلامة (الوسخ)، لها معنيان: إحداهما إيجابي والآخر سلبي. فيقول النواب:

"يا شرفاء المهزومين

ويا حكاماً مهزومين

ويا جمهوراً مهزوماً

ما أوسخنا

ما أوسخنا

ما أوسخنا ونكابر

ما أوسخنا لا أستثني منكم أحداً"²

¹ قصيدة "وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين". <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص99.

ويظهر نعتة الذات الشريفة والمهزومة الفردية والجمعية بالوسخ/المدنس، مظهراً الجانب الإيجابي من استخدام لفظ "ما أوسخنا"؛ للتعبير النفسي الشافي عما وصل إليه الحال العربي.

أما الجانب السلبي للوسخ عند النواب، له صلة بالفقر أو المعاناة، فقد ظهر في أشعاره، أنه نعت فلسطين الأرض المقدسة التي تعاني المخاض بفعل المدنس الشخصي بالوسخة، ونعت كذلك أطفالها-أولادها-بالوسخين، فيقول:

"وقف الله مع الأطفال الوسخين/ فعاصمة الفقراء قد سقطت"¹، فانه الكل المقدس وقف مع الآدمي الوسخ ليصير نظيفاً محرر الروح والجسد من الذنوب والخطايا.

أما في الغسل/الاعتسال من الوسخ، يقول النواب:

"تزيل المنافى عن الروح

نغسلها

ونوافيك غير حزاني

وأنظف شيء فينا القلب"²

إذ تظهر الغربية كأكبر خطيئة يقترفها المرء، ويعودته إلى بلاده، تُغسلُ الروح وتصبح نقيّة طاهرة.

والنواب يزيل الخطأ/الخطيئة في أشعاره، من خلال ما هو معنوي أو ذو دلالة معنوية أكثر مما هو واقعي مثل الماء أو التراب، إذ يقول:

"اغضب ليس لنا

بل لغد

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص547.

² نفسه. ص301.

دمر

زلزل

هذه الدنيا خطأ

خطأ

هذه الدنيا خطأ شاع

وجئنا بالدم

وبالعشق

وصدق النية

ساعدنا زهر الروح"¹

فساد الحكام في المنهج والإدارة والتربية، أخذ ينعكس على كل الدنيا، حتى صارت خطأ بالمجمل في نظر الشاعر، والصلاح الذي سيصوب كل الخطأ ويزيله: الثورة والتضحية، والحب، وصدق القلوب وتوجهها، ونقاء الروح.

¹ قصيدة فنى اسمه حسن. <https://tinyurl.com/yzsy4uk5>

الفصل الثالث

أبعاد المقدّس والمدنّس في أشعار النواب

الفصل الثالث

أبعاد المقدّس والمدنّس في أشعار النواب

الفكر العربي "كغيره من فكر الشعوب الأخرى أضفى صفة القداسة على التكوين القدسي للعالم والكون والإنسان".¹

فليس من الغريب أن يهتم النواب بشأن الشعب العربي في بلادنا، لتنويع الثقافة التي يقدمها، بغية احتواء مطالب الشعب وحاجاته كافة، وبالتالي تناول في أشعاره الموضوعات المتنوعة: الدينية والتاريخية والاجتماعية والسياسية، باستخدام تفديس المدنّس وتدنيس المقدّس.

فتطرح الباحثة السؤال الآتي: ماذا سيحصل لو جرّد النواب أشعاره من هذه الجدلية؟ فكيف سيتلقفها الجمهور؟ وهل سيوصل وعيه الثقافي الذي ينادي به من دونها؟

فالنواب واجه ثنائيات الحياة بأشكالها المتنوعة كلها، محاولاً أن يصنع من خلال أحاسيسه وهواجسه بهذه الثنائيات، رؤية خاصة تنقله من عالم الروحانية إلى الواقع، ومن الموت إلى الحياة، ومن الفقر إلى الغنى الفكري النضالي، ومن الضعف إلى القوة، منتجاً من التآلف بين كل من الضدين علاقة فريدة تعكس رؤيته وسلاسة قلمه اللغوي.

فهذه الجدلية تتجذر من الثنائيات الضدية، ولكنّ بالطاقة اللغوية الإبداعية التي ملكها النواب أخذت تخرج من نطاق الثنائية حتى أصبحت ظاهرة محورية كبرى في أشعاره، مما جعل البنية الشعرية عند مظفر قادرة على الانزياح والتحول، وبالتالي حملت الدلالات والأبعاد المتنوعة، هذه الأبعاد توضحها الباحثة على الترتيب:

أولاً: الأبعاد الدينية

شرح دوركايم تقسيم الفكر الديني للعالم إلى نصفين مرتبطين بالنظام الاجتماعي، فيقول: "إن جميع العقائد الدينية سواء أكانت بسيطة أم معقدة، تقدم سمة واحدة عامة، فهي تفترض مسبقاً وجود تصنيف لجميع الأشياء سواء أكانت واقعية أم مثالية يفكر بها الإنسان، ويتم تقسيمها إلى

¹ إلباد، مرسيا: "المقدس والمدنّس" ص8.

فئتين أو جماعتين متضادتين يتم توزيعها وفقاً لمعايير مستقلة، يتم تفسيرها بعناية بما يكفي من خلال كلمتي محرّم ومقدس".¹

إذ اعتمد النواب في استخدامه لهذه الجدلية، على ما يحمله من زاد ديني أثناء كتابته الشعر، فكان هذا الزاد هادياً ودليلاً له، لإنتاج شعر خارج عن المؤلف لغةً ومضموناً.

فأشعار النواب لا تتفك عن الارتشاف من المعين القرآني -أي التناص الديني المباشر وغير المباشر؛ لأنّ " القصص القرآني ذخيرة غنية بأروع الأساليب القصصية حتى تلك الأساليب الفنية التي لم تظهر إلا في العصر الحديث"²، فاستحوذ التناص الديني على كثير من نتاجه الشعري، وكذلك كثافة التعبيرات والألفاظ والعاطفة الدينية، ويتبدى هذا بجلاء عند قراءة الأعمال الكاملة للشاعر.

والنواب لم يرفض المسلمات الدينية والثوابت المقدّسة مثل القرآن، وكذلك القيم الأخلاقية التي يحتويها، وإنما يلفتُ نظر المتلقي في أشعاره القيمَ الإسلامية والتعاليم الدينية التي يحثُّ عليها الدين وباركها، ومنها:

إيقاظ الضمير الحي لتمييز بين ما هو خير أو شر، ونبذ التعصب والقبلية الجاهلية، والوفاء بالعهد وعدم الخيانة، ومساعدة الفقراء وإتمام حقوقهم كاملة، والثناء على الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق وعدم تمادي الباطل عليه، ومؤازرة مرابطي الحق في أوطانهم، فكل هذه القيم الروحية حرص الشاعر على بثها في أشعاره والعمل بها، فكان النواب أديباً مسلماً ملتزماً بالنص والقيمة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر ترى الباحثة أنّ صوفية النواب وروحانيته وحواراته التأملية الشعرية مع الله، تقرر بالحقيقة الجليلة-أي بـ"وحدانية الخالق"، إذ لم تكن المحبة الإلهية عنده، محبة مفرطة حدّ الاندماج والتوحد الذي يلغي قدسية الله في نفسه.

¹ دوركايم: "الأشكال الأولية للحياة الدينية". ترجمة رنده بعث. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 1967.ص52.

² الشنطي، محمد صالح: " الأدب العربي الحديث" مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياها ونماذج منه"، حائل، دار الأندلس، ط1، 1992، ص323.

ويندرج أيضاً تحت البعد الديني، الآثار الأخلاقية المترتبة عليه، وبالنسبة للنواب فهو يجعل الثورة أولى اعتباراتنا الأخلاقية، معبراً عن إيمانه بالانسياق القدرى للحدث، وليس لهذا الواقع والمصير العربي المهزوز؛ لذلك تمرد على المجتمع وليس على الله.

فأخلاقية الفنان هي التي تحدد نبل أفكاره، وعظمة فنه، ومنه نفهم إخلاصه وحكمته في اختياره للموضوعات والتقنيات الشعرية المستخدمة، ومنها: تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس.

فالنواب إنسان ملم بالفضائل والواجبات، غير منكر لوجود الآخر /المدنّس، ولكنه يرفض سماته وأفعاله. فكانت أشعاره غير نمطية في المضمون والتقنيات المستخدمة.

وتلاحظ الباحثة، كيف جعل النواب من القصص التاريخية الدينية وسيلة تخدم فكره الأدبي والعقدي، وذلك بربطه التاريخ الماضي مع الحاضر، فيقول:

"ما زال أبو سفيان بلحيته الصفراء

يؤلب باسم اللات العصيبات القبلية

وما زالت شورى التجار

تري عثمان خليفتها

وتراك زعيم السوقية لو جئت اليوم

لحاربك الداعون إليك

وسموك شيوعية"¹

إذ استرجع النواب زمن العراك الأموي العلوي على الخلافة، ناعثاً أبا سفيان بالتاجر الأصفر الذي يقرب الفتنة بين المبشرين بالجنة علي و عثمان، إذ قدّم علياً/ كأنموذج للحق مقابل أنموذج

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص110.

الباطل/ أبا سفيان، في حين تعدُّ الشيوعية في فكر النواب أملاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يمتلك قدرة على تفكيك طبقة تجار الشورى.

وبذلك يكون النواب قد قدّم "أنموذجاً أو مثلاً نابضاً عريقاً يرمز إلى قيمة من قيم الحق أو الخير أو الفضيلة وغيرها، أو صور صراعاً بين الخير والشر، والعدل والظلم، والإثار والإثارة، كان لمثل هذا العمل الأدبي تأثيراً إيجابياً؛ لما يتضمنه من جمال ومتعة وفائد¹. وتضيف الباحثة أنّ النواب غلبَ الرموز الدينية الشخصية وكذلك المعنوية والمكانية في أدبه: مثل علي بن أبي طالب وابنه الحسين، وكذلك الخرقه، والمسبحة، والعمامة، الزبيبة، والصلاة، وكذلك اتخاذه من القضية الفلسطينية الدينية والتاريخية منطلقاً لفكره وأدبه.

ثانياً: الأبعاد الاجتماعية

الإنسان اجتماعي بطبعه، فهو لا ينفك عن تكوينه الاجتماعي الذي ولد فيه، بدءاً من الأسرة، وانطلاقاً إلى المجتمع الكبير، بـ"مشاكله وعلاقاته المتطورة وطبيعة الحياة وتغيير وسائل النمو الصناعي وتوزيع الثروة وميزان القوى الاجتماعية في الدولة وفي العالم وبالفسفات وغيرها"²، فيحتاج المرء إلى اللغة والثقافة والمعرفة والقيم والمثل العليا والمبادئ، وكذلك الخبرات؛ ليستطيع مجاراة هذا المجتمع، والنواب كشاعر ملكها كلها، لبناء أرضية خصبة لأشعاره.

إذ أظهرت أشعاره النماذج الاجتماعية المتنوعة، ما بين الشخصية الصالحة البانية للمجتمع، وبين الشخصية الفاسدة الهادمة له، طارحاً مثالبها، مجسداً فيها الصراع الأبدي بين الخير والشر، كاشفاً عن طبائعها، وعلاقة فعلها بالثواب والقعاب، وكذلك ربطها على الدوام بالولاء للوطن أو بيعه للأغراب.

فحرص على معالجة هذه النماذج، عبر تقديس المدنس وتدنيس المقدّس، وذلك بتمرده على العادات والتقاليد والقوانين والأنظمة، التي تسري داخل المجتمعات العربية، مبتعداً عن المثالية الزائفة والفوضى غير الخلاقة.

¹ الكيلاني، نجيب: "مدخل إلى الأدب الإسلامي". ص103،

² نفسه. ص101.

فأشعاره قدّمت مساحة واسعة للنقد الاجتماعي وكذلك الأخلاقي، إذ خرج النواب على السلطة والتيار الذي ينتمي إليه / اليسار؛ لإحداث شيء مختلف، حتى لو كان مخالفاً للآخر، مثيراً فناً مختلفاً كسر فيه الحواجز الاجتماعية، فيجوز لي كباحثة أن أطلق على أشعاره "الفن الحديث".

وينطبق على مفهوم الرفض عند النواب، ما قيل فيه عند المعري، أنه: "هو القيمة الكبرى لصنع العالم لتستطيع فيه الذات أن تخلق سلطتها المضادة"¹، فكان النواب وأخواه (دنقل، والبردونى) خير مثال للسلطة المضادة الهادفة، إذ تمثل الرفض الاجتماعي عنده في "نقد الواقع وتحريكه، ثم تحريره من عوامل الضعف والتخلف، فكان رفضاً نزيهاً مضيئاً له هدف وغاية وطبيعة خيرة ورباط قائم مع الواقع والحياة مع محاولة تجديدها وإصلاحها إلى الأمام والتقدم".²

فهو مؤمنٌ بأنَّ "المسؤولية المقدّسة في عنق الأديب المسلم، تجعله يهدف إلى تحقيق السعادة والتوازن النفسي لدى الأفراد واعتدال الموازين بين فئات المجتمع، والنظر إلى سوءات الحياة الاجتماعية نظرة الطبيب لمريضه ليتم التغيير"³، وذلك من خلال تحويل النواب القيم من البعد الذاتي/ الأنا إلى البعد الإنساني /نحن، وبهذا كان النواب شاعر الجماعة لا شاعر الذات، إذ لم يكثرث بالعرف الاجتماعي الطبقي، وإنما كان مكسب الوعي الجماهيري لديه أبلغ من تلك الأعراف، ممثلاً "المجهود النقدي المتواصل الشجاع"⁴.

مما جعله من ثلة " الشعراء الروائيين الذين ينتجون مزيجاً جديداً في الأدب يضعهم في النتيجة خارج المقبولات الأساسية لمجتمعاتهم".⁵

وتجد الباحثة أنّ أكثر السمات الفكرية الاجتماعية النوابية وضوحاً، الإصلاح في شتى نواحيه، وخصوصاً الأدبي، حيث " تصحيح حياة الأمة، ومن ثم تصحيح التعبير عن تلك الحياة، فهو

¹ الديوب، سمير: "الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم". دمشق: وزارة الثقافة. 2009. ص164.

² الجندي، أنور: "خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث". ط2. لبنان: دار الكتاب اللبناني. 1985. ص367.

³ الكيلاني، نجيب: "مدخل إلى الأدب الإسلامي". ص118.

⁴ الغدامي، عبدالله: "النقد الثقافي قراءة في الأساق الثقافية العربية". ط3. المغرب: المركز الثقافي العربي. 2005. ص159.

⁵ الموسوي، محسن: "عصر الرواية مقال في النوع الأدبي". ص53.

بمثابة خلق جديد للأمم¹، وهوية النواب الاجتماعية والدينية والحزبية والفكرية التي يتمني إليها تثبت هذا. كونه لم يتملص من قضايا اجتماعية معقدة في أشعاره، بل على العكس دمجها كجزء من بنيته الاجتماعية الثقافية.

سنتقف الباحثة عند أكثر قضيتين اجتماعيتين متلازمتين اعتبرتتهما ركيزتين في أشعار النواب، هما: الكفر والفقر.

فهل يعني الكفر الوارد في أشعار النواب كفر العقيدة أو كفرًا بالربوبية الإلهية؟ وهل يوصف الشاعر بالشرك؟ أم أنه الكفر بالمجتمع المنافق والوقوف بجانب الفقراء؟

من البديهي في العقيدة الإسلامية التي يدين بها النواب، أن الكفر هو إشراك آخر مع الله في العبادة -أي في الألوهية والربوبية- وبما أن النواب مسلم؛ فهو لم يُدخل ذاته في باب الكفر -الشرك - وهو يقرُّ بذلك في قوله:

"طائر اللذة ملقى بين ضلعك سجيناً

خذُ رشيقات وحرره قليلاً

ربما يشنق من نافذة الحانة لله ويغري الأفقا

أنا لم أشرك

ولم ألق سوى الحانة هذي

أغلق الأبواب في وجهي مراراً وطني²

فالنواب يقر بعبوديته ولا يبتعد عن ربه وعبادته.

¹ العقاد، عباس: "مراجعات في الأدب والفنون". مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2013. ص177.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص386.

فمن الواضح أنّ مفهوم الكفر في أشعار النواب، يختلف اختلافاً جوهرياً عن الكفر في علم الشريعة والفقهاء، إذ لا يعني الخروج من ملة الدين الحنيف، فكفرة ليس دينياً، وإنما الدخول اجتماعياً في ملة الفقهاء التي ينتمي لها ويقود الثورة لأجلها والخروج على الحكام العرب. فالكفر في أشعاره قضية اجتماعية وليست دينية.

والمفارقات المعنوية بين ظاهر الأمر وباطنه أسلوب واضح يتبعه النواب، فإلى حد ما، يوهم القارئ أنه كافر، ويشعره أيضاً بمدى خروجه على التابو الديني، لكن سرعان ما يذكر الشاعر في أسطر قليلة، أنه لم يشرك مع الله أحد، أو يكفر به.

مثل قوله هنا مناد على الله بلفظ مولاي، فيقول:

شاركتك بالخلق!!!

وما شاركتُ سوى

فيما ينزل من حسنك في وترتفع السدف¹

ومعنى الأسطر السابقة أنّ النواب يشارك الله في صفاته وخلقه المخلوقات إذ قرأت الخلق بفتح الخاء، لكنه يتجنب فكر المتلقي عنه بأنه كافر/أو مشرك، متداركاً ذلك في السطر الأخير أنه لا يعني بالخلق الإبداع الخاص بالله، بل يعني الخلق بضم الخاء، إذ يجب أن يتصف بصفات الله الحسنى ليكمل نقصه كبشري.

ثم يأخذ بالتودد مع الله بالحوار العاطفي الحاني بينهما، فأهم دليل على نجاح أسلوب تقديس المدنّس وتدنيس المقدّس في تحقيق غايته، هو دهشة المتلقي وصدمة وانقباضه لدرجة الحيرة أحياناً²، متسائلاً: ماذا يقول النواب هنا؟

فـ"تكنيك الفن يكمن بجعل الأشياء غير مألوفة، لتزيد من مدة بقائها"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 354.

² صبح، رائد: "تقديس المدنّس في الشعر العربي المعاصر". ص 105.

³ أيزابجر، أرثر: "النقد الثقافي". ص 73.

وعلى الرغم من قوله: "أنا مبتذلٌ وبذيء كهزيمتكم"، إذ نعت ذاته بالابتذال والدناءة -أي يدنس نفسه بما هو دنس، لم يكن كذلك، فهو يعترف أنه: "شاعر جريء يواجه الواقع وينتقي من الألفاظ ما يتلاءم وبذاءة الواقع العربي والهزيمة التي تعيشها الأمة العربية بعد هزيمة حزيران"¹. إذ تجد الباحثة لفظ الكفر/كافر/ مشرك/أشرك مذكورة في قصائد النواب*² دون المبالغة في ذلك، مرتبطة بلفظ الفقر/ أو الفقراء، فيقول:

"مولاي !! أنا في صف الجوع الكافر

ما دام الصف الآخر

يسجد من ثقل الأوزار"³

فالفقر كفر في نظر النواب، ولذلك ينتمي للصف الكافر الفقراء/ المقدّس، ما دام أصحاب السلطة/ المدنّس يسجدون باسم الله آثمين مرتكبين للخطيئة.

ف"العمل الفني لا يقاس بخصائصه الفردية أو بمزاج مبدعه الشخصي، بل بمقياس أعظم وأهم وهو ارتفاعه عن الأنا وبعده عن الذات وانخراطه في المجموع وذوبانه في الكيان النفسي لعقل البشرية الكلي"⁴، ومن هذا المنطلق، اتحد النواب بالفقراء، فيقول:

"حيز لفقرك ما من حياد

هو العالم اليوم من فئتين

هنا الفقراء على جوعهم واقفين

وخلف قلاع الخزائن يجتمع الاحتكار وأزلامه"⁵

¹ الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص136.

² فقط القصائد الواردة في الأعمال الكاملة.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص141-142.

⁴ جابر، يوسف: "قضايا الإبداع في قصيدة النثر". ط1. دمشق: دار الحصاد لنشر وللتوزيع. 1990. ص202.

⁵ تفرغ ماجد بلالو: قصيدة من دفتر السري شديد الخصوصية لإمام المغنين.

فكانت النتيجة محبة الجمهور/الشعب وتداول أشعاره.

إذ برزت/علامة الكفر في مواطن جعلت الباحثة تعيد قراءتها وتجمع تأويلاتها لعلها تصيب
بوحدة منها:

الأولى: الدخول في ملة الفقراء، لأنَّ "الاحتجاجات الجماهيرية القائمة على أساس التماثل الإنساني هي الأدوات الهائلة للمقاومة الإنسانية"¹ إذ رأس نفسه سلطة للفقراء قد غلا بالانتماء لها، فهو لبأس ثوبهم، قائلاً: أنا كافر بالدنيا؛ لأنني لم أجد لقمةً ولا مقبرةً ولا غطاءً لستر الفقير العربي.

وسجّل النواب اسمًا جمعياً "على حاشية القرآن" يحمل "شاحنات للذين استضعفوا"²، ومن ذلك تجد الباحثة أنَّ النواب يقدهم، ولا يعيب عليهم فقرهم، وإنما يحتُّم على أخذ حقوقهم من الحكام.

وأوضح النواب قانون الالتحاق به: "أنا أرفض الخردوات من الفقراء"³، فهو يريد الفقير القوي العظيم" فالعظمة من شروطها الفقر أيضاً؛ لأنَّ الفقير إنسان حر من كل قيد، فهو لا يملك، وبالتالي غير مقيد بملك".⁴

فالنواب" يرى أن الخلاص يكمن في ضرورة ثورة طبقة الفقراء ضد طبقات المومس والغرب الرأسمالي الذي يدعها"⁵، وبذلك تقلده الباحثة وساماً، هو "الفقر فخري".⁶

الثانية: كسر التابو الاجتماعي الطبقي المنجّب للحرية، حين قالها النواب:

"أنت لا بد يا رب تغفر للكفر إن كان حراً ألبياً"

¹ سعيد، إدوارد: "خيانة المثقفين". ص 126.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 413.

³ نفسه. ص 510.

⁴ منصور، أنيس: "زمن الهموم الكبيرة". ط1. القاهرة: دار الشروق. 1999، ص 296.

⁵ الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". ص 138.

⁶ العجلوني، إسماعيل: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس". تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1. ج2. القاهرة: المكتبة العصرية.. 2000 ص 113.

وهيئات تغفر للمؤمنين العبيد¹

وردت هذه الأسطر بعد ذكر قداسة الحسين ونجاسة العهر وزمانه، فـ "ليست القضية قضية كفر بل قضية حرّية، كما هو حال كل كفر حوّلته الإحساس بالحرية إلى فورة إيمان"².

ثالثاً: الكفر بمعناه المعروف: وهو الخروج من الملة، ولكن يربطه النواب على الدوام مع المدنّس فيقول أثناء حاوره مع الله: "فيم أخذت حكايات زناة الليل/ أما كفروا"³

ومنه تجد الباحثة أنّ أغلب دال الكفر الوارد في أشعار النواب، يحمل دلالتين:

التأييد لفئة الفقراء والحرية لمفقديه: الوطن والثورة.

ثالثاً: الأبعاد السياسية

استطاع الشاعر أن يؤدي رسالته على وجهها الصحيح، بمواجهته مآسي الحياة بشجاعة ووعي وتصور سليم للواقع.

حيث ساعد استخدامه لهذه الجدلية الشعرية في نقد الآخر بأنماطه المختلفة، وتوضيح ميدان المواجهة مع الحاكم العربي، إذ كان الواقع السياسي السبب المباشر في تواجدها في أشعاره، ونصه الشعري قائم على توثيق الأحداث السياسية بطريقة أدبية إبداعية، كونه أصبح على صلة وثيقة بالثورة الإصلاحية الحياتية.

رابعاً: الأبعاد النفسية

في مقدمة كتاب "وحي الأربعين"، يقول العقاد: "الشاعر الحساس لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي جميع المطالب، وهو التعبير الجميل عن الشعور الصادق"⁴، إذ اهتم النواب بالعالم

¹ قصيدة "الوقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين". <https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671>.

² هاني، إدريس: مقالة بعنوان: "مظفر النواب (بين السماوات ورأس الحسين)". مجلة كتابات في الميزان/ 29-9-2017م.

<https://www.kitabat.info/subject.php?id=105560>.

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص354.

⁴ العقاد، عباس: "وحي الأربعين". مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2013. ص8.

النفسي لشخص أشعاره ولذاته، كأديب وشاعر، حيث أعتبرَ الوعي الذاتي والتاريخي والسياسي هدفه المقصود، ومطلبه الجامع لكل مطالب الفقراء.

وهذا جوابٌ لسؤال طُرح كثيراً: لماذا ينصت الجمهور ويستمتع ويصفق بحرارة إذ تحدّثَ النواب؟

ومن زاوية أخرى للإجابة؛ لأنَّ الجمهور شعر بتعبيره الفني اللغوي العميق، وأنَّه يشاركتهم العناء والقلق والألم والأمل بأسلوب يجذبهم، وبالتالي كون النواب بين المبدع والمتلقي علاقة فكرية روحية مشتركة.

ومن هنا حدث التلقي الإيجابي المحفز للهمم والصانع للتغيير الأفضل الذي ينشده النواب، إذ امتازت أشعاره بالثقافة الجماهيرية الواسعة؛ كوننا جزء من هذه التجربة الإبداعية نعاصرها ونتعايش معها ونحن من أنتجها من جهة واستهلكها من جهة أخرى¹.

ويؤكد الجرجاني على الأثر النفسي الذي تتركه أي ثنائية ضدية في نفس المتلقي بقوله: "وهل تشك في أنه عمل السحر في تأليف المتباينين، حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ويجمعه ما بين المشئم والمعرق، ويريك عين التئام الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار كذلك"².

فحددت هذه الجدلية قيمة فنه الشعري، من خلال ما يستحوذ على القارئ من منفعة ومتعة أثناء القراءة.

وتورد الباحثة المقطع الآتي للنواب، فيقول:

"كأنَّ سماء الله

تعجُّ دنوباً

¹ الغدامي، عبد الله: "القصيدة و النص المضاد". المغرب: المركز الثقافي العربي. ط1. 1994. ص79.

² الجرجاني: "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه محمود شاكر. جدة: دار المدني. ص32.

ما كنتُ أنام

بغير دمي عاريةً

في المهد ألاعبن طروباً

كم كان إله الشهوات

يقبّلُ سريري

ومددتُ يدي

تمسكُ ضحكتهُ

ما وصلتُ كفاي إليه

وفرّاً لعوباً

وامتلاً العمر الفارغ أحلاماً برواك¹

فالشاعر لم يترك مجالاً للتخيل هنا، وإنما الصدمة في الخطاب وانتقاء الألفاظ هي التي خيمت على نفس المتلقي، متسائلاً: ما هذه العلاقة المرححة السلسة بين إله الشهوة والشاعر كأنَّ الإله حبيبته؟

فكانت الهزات النفسية والدهشة التصويرية التي يوظفها تقديس المدنّس وتدنيّس المقدّس وسيلة المبدع لتحقيق مبتغاه في تغيير وعي المتلقي وقيمه الجمالية²، على اعتبار "أنَّ إحدى وظائف الفن الأكثر أهمية، هي أن يواجهنا بصدمة، حتى لا نعود مجرد ضحايا للعادة والألفة"³.

¹ الصبح، رائد: "تقديس المدنّس في الشعر العربي المعاصر". ص134.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص165.

³ أيزابرجر، أرثر: "النقد الثقافي". ص73.

ففي المقطع السابق، تمَّ الخرق على المستوي الجمالي والفكري القيمي، بكسر أفق توقع القارئ عبر توظيف التقنية التي اشتغلت على توليد قيم جمالية جديدة والوصول إلى قيم إنسانية.¹

والجمال الفكري والقيمي الوارد في المقطع، تلخصه الباحثة كالاتي:

1. نسب الشاعر الخطأ والذنوب إلى ذاته/المدنسة ولم ينسبها لله/المقدس؛ لأنه قال:

"وأمس أتيتُ تأخرتُ

فوا أسفاه تأخرتُ"

فهو الذي يسعى للقاء إله الشهوات، مبيناً الودّ بينهما.

2. أما عن جمال القيمة فيظهر سبب سعيه وراءه، قائلاً:

" اسمع، فوراء محيطات الرعب المسكونة بالغنيان

هناك قلعة صمت

في القلعة بئر موحشة

كقبور ركبنا على بعض

آخر قبر يفضي بالسرّ

إلى سجن

السجن فيه قفص

تلتفُّ عليه أغاريد ميتة

ويضمُّ بقية عصور

¹ الصبح، رائد: "تقديس المدنس في الشعر العربي المعاصر". ص164.

مات قبيل ثلاث قرون

تلكم روعي

منذ قرون دفنت روعي

منذ قورن وئدت روعي"¹

فالقائمة الأخلاقية الطاغية على المقطع، هي عدم الحكم على الظاهر، وإنما على جوهر الباطن، حتى وإن طالت الملامح المعبرة عن الفرح، فهناك حزن دفين مخفي من المحيط العميق إلى روح النواب الصادقة، فالمحيط والقلعة والبئر والقبر والسجن والقفس والعصفور الميت يجمعها شيئان: العتمة والعزلة، وكلاهما عاشهما النواب.

أما عن "مقاطعته الشعرية ذات الرمزية الجنسية خصوصاً في شعره العامي، فهو شاعر عامي قديم تجاسر على خرق ثوابت الخطاب الشعري وتابوهات القائمة"²، إذ أفلت النواب المتلقي من القيود النفسية عندما أخذ يقرأ هذه اللوحات.

وتقف الباحثة على علاقة النواب بالمقدس والمدنس وأثرهما عليه:

إذ أعطى النواب لنفسه الحق بأن يحاسب الحكام العرب على خطاياهم، فهو لا يخافهم، إذ حال لسانه يقول:

"لا أخاف، وكيف يخاف جمهور بطلقته الكاتمة

قدمي في الحكومات في البدء والنصف والخاتمة"³

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص135.

² حسن، حسين سرمك: مقال بعنوان "حادثة النهدي المباركة". دنيا الوطن. نشرت بتاريخ 29-10-2014. <https://tinyurl.com/yjvtfz15>

³ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص376.

ففي قصائده، وخصوصاً التي ذكر فيها المقدّس، يقدم النواب نفسه مع المقدّس الشخصي: إما مخاطباً له لحثّه على إتمام فعله، أو يكن بمثابة علوي يأمر ويحث ويوصي بطله المقدّس بحوار ثوري دال على التوافق الفكري والفعلّي بينهما.

وقد يكون الشاعر آتٍ بمبرر لهذه العلاقة، حينما قال:

"إن عذابي وعشقي قد أعطاني حق التفرد والبدء"¹ بقول ما لا يقال في المقدّس والمدنّس على حد سواء. فهو الذي ينادي برسالة كونية جوهرها الوعي؛ لذلك يترفع عن المدنّس ونجاسته، بقوله الآتي:

"أغرب الأمر...

بعض الشحارير لما رأنتي

لما أخطّ على الفضلات كأحوالها

نبحت كالكلاب

إلهي إني تكفّلت بتلك تكفل بهذي"²

إذ تتصل الشحارير بالمدنّس وهو لا ينتمي لها. وهنا يظهر النواب قداسة شخصه/ذاته. فقد تحول من بذيء وبغي ونجس وآثم إلى شخص "مقدس" بضميره ووعيه الطاهرين كما نرى في قوله: "أنا الحق لا أستحي"³، والحق بلغة الاشتقاق لفظ جامع لـ "الصحة والثبات والصدق والجدارة والواجب"⁴.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص344.

² نفسه. ص 280.

³ نفسه. ص319.

⁴ أنيس، إبراهيم وآخرون: "المعجم الوسيط". ص209.

خامساً: الأبعاد الجمالية

قد يكون معنى الجمال "سجلاً الضمير، أو ما يسميه الجماليون العرب البعد الباطن مجسداً في ظواهر محسوسة أو قد تكون رمزاً لسمات مقدسة في الواقع المادي أو المحسوس"¹ فالمعنى واللفظ عند النواب، له مذاق خاص-أي أنه مختلف-فبعض المعاني هزنتي كباحثة قارئة وبعض الأفكار صدمتني.

فيقول النواب في قصيدة "عروس الانتفاضة":

"بدأ الصمت

والطرقات الصغيرة

حطَّت على كتفها صبرها

والدموع المباركة الرزق

كانت تضيء البيوت أمام الغروب العظيم"²

فالدمع المبارك/ المقدس ذرف لدماء أضاعت كل الزمان، عند مدخل مدينة نابلس كما تذكر بداية قصيدة "عروس الانتفاضة"، بسبب جريمة اقترقتها الأفاعي/المدنس الصهيوني بأطفال المدينة. إذ التفت جثامينهم بطين الأرض "كرباً رحيم"، ثم يردف النواب قوله:

" ارم ربَّ الحجر

أزحهم وأيقظ حجارة الجحيم

فإنَّ تأمرهم ضد وعي الحجارة

¹ الموسوي، محسن: "عصر الرواية مقال في النوع الأدبي". ص 57.

² النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب". ص 224.

لا يغتفر¹

فالدمع والدم والحجر خلق الوعي الذي يحمل جمال التغيير وقلب الموازين بأداة صغيرة يدوية الصنع، مقلاعٍ وحجر. فالفن " الذي يسجل ويحمل تفسير الجمال لا بدَّ أن يكون ذو قيمة أخلاقية أو دينية ".²

إذ تحمل الأسطر السابقة كلماتٍ ضخمةً "رب الحجر، وعي الحجاره، وعدم الغفران"، مبينة القيم المقصودة الموجهة لأطفال فلسطين، وهي غرس المقاومة في نفوسهم بالحجر لا بالخدلان والتآمر المذموم.

فالنواب حتى يصل إلى أسمى درجات الجمال النفسي جمع بين الفن والأدب، ليخرج أشعاراً تنادي بالجمال الروحي الإنساني، فأظهر ذلك من خلال التزامه بالأخلاق والقيم التي تهدف إلى تحقيق الفضيلة والسلامة والسعادة.

¹ النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب. ص227.

² الموسوي، محسن: "عصر الرواية مقال في النوع الأدبي"ص57،

الخاتمة

أضفت جدلية المقدّس والمدنّس في أشعار النواب جواً درامياً مسرحياً حينما استحضرت المقدّس ونقيضه. فأراد الشاعر الكشف عن مأساة التناقض بين مبادئه الثائرة/الشعب/المقدّس وبين الاستبداد/السلطة/المدنّس، فالشاعر "يعاند الواقع يعاند المألوف الشائع"¹.

فاستطاع النواب تحقيق عوالمه الشعرية من خلال صور المقدّس والمدنّس وحالة التآلف بينهما. فكانت أشعاره تعبيرية قوية؛ للكشف من خلالها عن كيفية التواصل فيما بين الإنسان والآخر؛ لتأصيل ثقافة ثورية جديدة.

ومن هنا فإن البحث وبعد التحليل ومناقشة مفهومي المقدّس والمدنّس، وبيان استخدامهما في أشعار النواب، وإبراز ملامحهما وأبعادهما الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والنفسية والجمالية، فإن البحث توصل إلى للنتائج الآتية:

1. عدم اعتماد النواب على ثقافته اللغوية فقط أثناء كتابة أشعاره، وإنما استثمر مسوغات ثقافية متنوعة واقعية اجتماعية، وهي (التصوف الديني والاجتماعي، المرأة، الجنس، الخمر).

2. يعدّ الواقع السياسي المزوم وكذلك الواقع الاجتماعي المتناقض سبباً مباشراً للجوء النواب لتقدّيس المدنّس وتدنيّس المقدّس.

3. تجلي عبقرية النواب في دمج وتآلف القطبين في لوحات شعرية متنوعة مناسبة للغرض الشعري وللقيم التي ينشدها النواب في أشعاره، ومنها تبين للباحثة أنّ النواب يريد الانفتاح على الآخر والتحاوّر معه، ليس ضعفاً منه أو تنازلاً عن مبادئه الثائرة، وإنما من منطلق التفاوض من أجل الإصلاح.

4. استخدام النواب لهذه الجدلية لا يصب في لعبة الإيهام الأدبي أو تحوير للفظ والمعنى أو الدخول في باب المفارقة، بل كان استخداماً مقصوداً واضحاً ليناً في الحرف ذكياً في الدلالة الباطنية للمعنى. وخير دليل على ذلك شيئان، هما:

¹ عبارة لسيد عريان خلف من ندوة عراقية عن مظفر النواب عقدت في بيتنا الثقافي.

5. أ- هجاء النواب التصريحي العلني، ب- صدمة ودهشة المتلقي لأشعاره.

6. حملت هذه الجدلية أبعاداً أهمها الأخلاقية والجمالية الأدبية، إذ حرص النواب على طرح القيم الفاضلة الصالحة ودرء القيم الفاسدة الطالحة في المجتمع العربي كله وليس العراق فقط.

وبذلك يكون النواب نجح في عمل "ثورة أشدّ اتساعاً، وأعمق شعرياً، وأسمى مادياً وأشمل عالمياً من الثورة الماركسية"¹ حينها.

إن هذا البحث ما هو إلا عمل إنساني بجهد باحثته، يعتريه النقص ويحمل الخطأ والصواب، كون الكمال المطلق لله وحده، فإن أصبت في مكان فهو بفضل الحي الباقي، وإن أخطأت فهو من نفسي، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم بأن يكون خير بحث نافع لخير جامعة ودولة.

¹ أدونيس: "الهوية غير مكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ص 42.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم، أنيس وآخرون: "المعجم الوسيط". ط2. القاهرة: دار المعارف. 1972.

أدونيس: "الصوفية والسريالية". ط1. بيروت: دار الساقي. 1992.

أدونيس: "الثابت والمتحول". ج2. ط. بيروت: دار العودة. 1982.

أدونيس: "الهوية غير المكتملة الإبداع الدين والسياسة والجنس". ط1. سوريا: البدايات للطباعة والنشر. 2005.

الأسطة، عادل: "مظفر النواب الصوت والصدى". القاهرة: مكتبة المدبولي. 2002.

إلياد، مريسا: "المقدّس والمدنّس". ترجمة عبد الهادي عباس. ط1. دمشق: دار دمشق. 1988.

أيزابرجر، أرثر: "النقد الثقافي". ترجمة وفاء إبراهيم. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 2003.

بسيسو، عبد الرحمن: "استلهام النبوع: المأثورات الشعبية وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية". ط1. بيروت: دار السنابل. 1983.

بلالو، ماجد: "أحد الأشخاص السوريين المقربين من النواب، يخدمه، ويعمل بالتنقيغ الصوتي لقصائده المسجلة على الأشرطة القديمة". محادثة فسيوكية. يوم السبت، الساعة 11:30 ليلاً. بتاريخ 17-4-2021م

جابر، يوسف: "قضايا الإبداع في قصيدة النثر". ط1. دمشق: دار الحصاد لنشر وللتوزيع. 1990.

الجاحظ: "الحيوان". ج4. تحقيق عبد السلام هارون. ط2. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. 1966.

الجاحظ: "محاسن الأضداد". صححه أحمد الجمالي ومحمد الكتبي. ط1. القاهرة: مطبعة السعادة.
1906.

الجرجاني: "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه محمود شاكر. ط1. جدة: دار المدني. 1991.

جرجس، سلوى: "طرز الأزياء في العصور القديمة". القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الجندي، أنور: "خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث". ط2. لبنان:
دار الكتاب اللبناني. 1985.

الجندي، علي: "شعر الحرب في العصر الجاهلي". ط3. بيروت: مكتبة الجامعة العربية.
1966.

الجوابرة، باسم فيصل: "المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره". ط1. الرياض: دار
الراية. 1993.

حبيب، سعد: "الشورى في الإسلام". العدد 189. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
1976.

حسانين، محمد: "استعادة المكان، دراسة في آليات السرد والتأويل". 2003.

حمدي، أيمن: "قاموس المصطلحات الصوفي". القاهرة: دار قباء. 2000.

الدميري، كمال الدين: "حياة الحيوان الكبرى". دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة. 1992.

دوركايم: "الأشكال الأولية للحياة الدينية". ترجمة رندة بعث. المركز العربي للأبحاث ودراسة
السياسات. 1967.

الديوب، سمير: "التنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم". دمشق: وزارة الثقافة.
2009.

السعدي، عبد الرحمن: "القول السديد في مقاصد التوحيد". الرياض: الرئاسة العامة للبحوث والافتاء. 2013م.

سعيد، إدوارد: "خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة". ترجمة أسعد الحسين. سوريا: دمشق. دار نينوى. 2011.

سلمي، أبي عبد الرحمن: "الطبقات الصوفية". تحقيق أحمد الشرباصي. ط2. مؤسسة دار الشعب. 1998.

الشرقاوي، عبد الرحمن: "مسرحية الحسين شهيداً". القاهرة: مؤسسة روز اليوسف. 1969.

شعلان، سناء: "الأسطورة في روايات نجيب محفوظ". الأردن: نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي.

الشنطي، محمد صالح: "الأدب العربي الحديث" مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياها ونماذج منه" ط1. حائل. دار الأندلس. 1992.

صادق، صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً". ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1994.

الصباح، رائد: "تفديس المدنّس في الشعر العربي المعاصر". ط1. المغرب: المركز الثقافي للكتاب. 2017.

عبد الرحمن، عبد الهادي: "عرش المقدّس". ط1. بيروت: دار الطليعة. 2000.

العجلوني، إسماعيل: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس". ج2. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط1. القاهرة: المكتبة العصرية. 2000.

العقاد، عباس: "مراجعات في الأدب والفنون". مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2013.

العقاد، عباس: "وحي الأربيعين". مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. 2013.

- الغذامي، عبد الله: "القصيدة والنص المضاد". ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي. 1994.
- الغذامي، عبد الله: "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية". ط3. المغرب: المركز الثقافي العربي. 2005.
- غليون، برهان: "الوعي الذاتي". ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1992.
- ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة". ج5. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر.
- القشيري، أبو القاسم: "الرسالة القشيرية". ط1. مصر: مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده. 1940.
- كايو، سروجيه: "الإنسان والمقدس". ترجمة سميرة ريشا. ط1. لبنان: بيروت. المنظمة العالمية للترجمة. 2010.
- كيلاني، نجيب: "مدخل إلى الأدب الإسلامي". ط1. قطر: مطبعة الدوحة الحديثة. 1987.
- لوح، محمد: "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي". ط1. الدمام: دار ابن عفان. 2002.
- ابن ماجة: "سنن ابن ماجة". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط2. بيروت: دار الفكر.
- المنأوي، عبد الرؤوف: "التوقيف على مهمات التعاريف". تحقيق حمدان عبد الحميد. ط1. القاهرة: مكتبة عالم الكتب. 1990.
- منصور، أنيس: "هموم هذا الزمان". ط1. القاهرة: دار الشروق. 1992.
- منصور، أنيس: "زمن الهموم الكبيرة". ط1. القاهرة: دار الشروق. 1999.
- منير، عمرو عبد العزيز: "مصر والنيل بين التاريخ والفلكلور". القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية. 2009.
- ابن منظور: "لسان العرب". ج4. بيروت: دار صادر. 1968.

ابن منظور: "لسان العرب". ج11. بيروت: دار صادر، 1968.

الموسوي، محسن: "عصر الرواية مقال في النوع الأدبي". ط1، العراق، بغداد، مكتبة التحرير، 1985.

نايت، ركس: "المدخل إلى علم النفس الحديث". تعريب عبد علي الجسماني. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1993.

النواب، مظفر: "الأعمال الكاملة للشاعر مظفر النواب" القاهرة. كنوز للنشر والتوزيع. 2007.

هلوي، محمد: "حياة الصحابة". ج1. تحقيق بشار معروف. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة. 1999.

هوري، عبد الله الأنصاري: "منازل السائرين". لبنان: بيروت. دار الكتب العلمية. 1988.

هويدي، صالح: "بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة". السعودية: مكتبة العبيكان. 2006.

ياسين، باقر: "مظفر النواب حياته وشعره". ط2، إيران: قم. دار الغدير. 2000.

المجلات والمقالات

بوفلاقة، سعد: "رابعة العدوية البتول الشاعرة المتصوفة". مجلة حوليات التراث. جامعة عنابة، الجزائر، العدد8/ 2008. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/39121>.

حسن، حسين سرمك: مقالة بعنوان: "حادثة النهدي المباركة". دنيا الوطن. نشرت بتاريخ 29-10-2014. <https://tinyurl.com/yjvtfz15>.

الحلي، عبود وآخرون: "الطفيات في الشعر العرب-التطور والتاريخ". مجلة أهل البيت. العدد10/ 2010. <https://abu.edu.iq/research/articles/13190>.

دير، شعبان: مقالة بعنوان: "جدلية الاغتراب في الشعر الصوفي". مجلة ديوان العرب. نشرت

بتاريخ 16-8-2009م. <https://tinyurl.com/yeu5t2us>

السالم، وارد بدر: "تحولات صورة "البطل" في تاريخ الأدب والفن والأسطورة". مجلة العرب.

لندن. العدد 11384 / 21-6-2019م.

<https://alarab.co.uk/%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%>

السيد خلف، عريان: مقالة بعنوان "مداخلة من ندوة عراقية في بيتنا الثقافي".

عبد الله، عودة: مقالة بعنوان: "الاتصال الصامت"، مجلة المسلم المعاصر.

<https://almuslimalmuaser.org/tag/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8>

[.%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D9%85%D8%AA](https://almuslimalmuaser.org/tag/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D9%85%D8%AA)

عويّد، عدنان: مقالة بعنوان: "الإنسان التاريخي والإنسان اللاتاريخي". صحيفة المتقف.

العدد 2874 / بتاريخ 19/7/2014م. <https://tinyurl.com/ygocp5bd>

القشطيني، خالد: مقالة بعنوان "الحرّة لا تأكل بثدييها". جريدة الشرق الأوسط. العدد 14966/

الثلاثاء نشرت بـ 19-9-2019م. <https://tinyurl.com/ydbmsbmp>

المذكور، حسن: مقالة بعنوان: "مؤيد الاغتراب"، دنيا الوطن. نشرت بتاريخ 8/6/2016م.

[.https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/406424.html](https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/406424.html)

مقالة بعنوان: "حادثة الجنسية الرمزية في قصيدة "زفة شناسيل". دنيا الوطن. نشرت

بتاريخ 12-11-2014م.

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/347793.html>

نوري، عبد الجبار: مقالة بعنوان "مدرسة الحسين ومفهوم الثورة". موقع الحزب الشيوعي

العراقي. الأثنين نشرت بتاريخ 27/1/2014م. <https://tinyurl.com/yfua5s99>

هاني، إدريس: مقالة بعنوان "مظفر النّواب و(بين السماوات ورأس الحسين)". مجلة كتابات في الميزان. 2017-9-29. <https://www.kitabat.info/subject.php?id=105560>.

الرسائل الجامعية

رضوان، نهاية: رسالة ماجستير بعنوان "اللغة في شعر مظفر النّواب"، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية: 2012م.

روشن، محمد: دراسة بعنوان: "دراسة دور الأمكنة في الديكور الشعري لمظفر النّواب"، إضاءات نقدية، العدد 25، 2017م.

الشيخ، موسى: رسالة بعنوان "تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره". السعودية. جامعة أم القرى: 2008.

عودة، مؤيد: رسالة ماجستير بعنوان "مظفر النّواب: التلقي النقدي واختلاف الطبقات". فلسطين، جامعة النجاح الوطنية: 2016م.

محمد، مصباح: رسالة ماجستير بعنوان "تداخل الأجناس الأدبية في شعر مظفر النّواب". فلسطين، جامعة النجاح الوطنية: 2020م.

هويدي، محمد: رسالة بعنوان "الاغتراب في شعر مظفر النّواب/ الوترية الليلية أنموذجاً". العراق. جامعة المثنى: نشرت بتاريخ 2017-9-22م.

اليحياوي، علي: دراسة بعنوان "حماية المقدّسات الدينية عند الدول غير الإسلامية". الجزائر. جامعة الحاج خضر: 2010.

المراجع الإلكترونية

قصيدة اتهام. <https://tinyurl.com/yzxtzn4e>.

قصيدة البراءة. <https://www.angelfire.com/mn/modaffar/19.html>.

<https://tinyurl.com/yj3wyccr>. قصيدة باب الكون.

<https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4663> . قصيدة بالخمير والحزن فؤادي.

<https://tinyurl.com/yege38jw>. قصيدة بيان سياسي.

[.https://anfasse.org/51-2010-11-18-11-31-15](https://anfasse.org/51-2010-11-18-11-31-15)، قصيدة طليقة ثم الحدث،

[.https://tinyurl.com/yzsy4uk5](https://tinyurl.com/yzsy4uk5) قصيدة فتى اسمه حسن

قصيدة وقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين،

[.https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671](https://www.alqasidah.com/poem.php?ip=4671)

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Controversial of the Sacred and the Profane in Muzaffar annuwab's Poetry

**By
Fatima Musa Mahmoud Qannam**

**Supervisor
Dr. Odwan Odwan**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and
the Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National
University, Nablus- Palestine.**

2021

**Controversial of the Sacred and the Profane in
Muzaffar annuwab's Poetry**

**By
Fatima Musa Mahmoud Qannam
Supervisor
Dr. Odwan Odwan**

Abstract

This thesis focused on the technique of sanctifying the profane and sacrilege in the poetry of the deputies, as it is a poetic technique that was new in modern Arabic poetry. In the first chapter, the researcher came to the reasons and premises that led to the cultural and literary diversity in the poetry of the deputies, specifically the technique of sanctifying the profane and the desecration of the sacred.

The researcher dealt with the religious and social Sufism of the deputies, as well as his view of the universe, and how women were a social pillar in the construction of his poems, and his adoption of sex and alcohol of both types (material and moral) in detail to highlight his revolutionary patriotic thought, including the appearance of the sacred and the profane in his poems.

In the second chapter, the researcher explained the justifications for the deputies' use of the technique of sanctifying the profane and desecrating the sacred, then she added it to the images of the sacred of different types (personal, spatial, sensory performative, verbal) and then followed it with images of the profane (personal, spatial, temporal, performative, and verbal) showing the most important The common features of each of them,

then she showed the places where the sacred and the profane were in harmony in the cosmic nature, the place and the human being in the poems of the representatives.

As for the third chapter, the researcher examined the various literary dimensions resulting from the deputies' use of the technique of sanctifying the profane and desecrating the sacred, analyzing the religious, moral, political, social, psychological and aesthetic dimensions that this technique carried in the deputies' poems.

The researcher relied on the descriptive analytical method, and the use of religious and historical intertextuality sometimes, as well as the mythical method, perhaps coming up with a good study of this phenomenon in the poems of the deputies.

Among the most important findings of the researcher are the following:

First: The technique of sanctifying the profane and desecrating the sacred is apparent in modern poetry.

Second: The emergence of the technique of sanctifying the profane and desecration of the sacred clearly during the reading of the poems of the deputies.

Third: This technique strengthened the poems of the deputies and their connotations and dimensions, and it was credited with spreading the poems of the deputies and receiving them with passion.